395

HARLEQUIN

روايات أحلام

دع الجراح تنام

بيني جوردان

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

دع الجراح تنام

يحتاج الأمير لوك دي أوربينو إلى زوجة بصورة عاجلة. فأمارته في اضطراب عظيم. وحده زواج ضخم سوف يحل المشكلة.

منذ عدة سنوات، شاركت كارين برودينت لوك مشاعر مفعمة بالحب والشغف. لكن لوك رفضها بعد ذلك ... والآن، من الطبيعي أن تدفعها كبرياؤها إلى الرفض، إلى أن هددها لوك بكشف سر سيدمر سمعة عائلتها. فهل من خيار أمامها؟

ISBN 9953-15-363-9

2500ل.ل	1دينار
75ل.س.	10ريال
1.5دينار	8جنيه
750فلس	15درهم
10دراهم	2دينار
10ريال	1ريال

بيني جوردان

تكتب بيني جوردان الروايات منذ أكثر من عشرين سنة وقد ألفت أكثر من ١٥٠ رواية، كتبت عن معظمها تعليقات من مجلات وصحف عديدة منها Sunday Times وNew york Times، وحققت أرقام مبيعات عالية جداً. ولدت بيني جوردان في برستون وهي تعيش اليوم في منطقة تشيشير الريفية.

تمهيد

- إذاً، تدركين الآن أنني كنت أقول الحقيقة عندما حذرتك بأنك لن تكوني أكثر من تسلية مؤقتة لابني بالمعمودية!

هزّت الكونتيسة كتفيها بازدراء وتابعت: «كيف يمكن أن يكون الأمر مختلفاً؟ فلوك أمير شريف المولد والقَدر. بالطبع.. هو رجل أيضاً وأنت فتاة جميلة و... متوفرة!».

هزّت كتفيها مرة أخرى، لكن هذه المرة باستخفاف رافق كلماتها الآذنة بالانصراف، فيما راح وجه كاري يتّقد ألماً وإذلالاً.

- ربما شعر برغبة ملحة لمطاردتك، لكنه لن يتزوجك مطلقاً. لا يمكنه ذلك! فأنتِ لا شيء... مجرد ابنة مستخدم لا أكثر. أنتِ امرأة شابة، تافهة، ومستهترة. عُرف عنها في الإمارة كلها أنها هي التي رمت بنفسها عليه وأغوته. عندما يريد لوك الزواج، يجب أن يتزوج بفتاة ذات أصول مناسبة ومنزلة رفيعة. المرشّحة المناسبة لتكون زوجة لوك هي حفيدتي، بالطبع. ولهذه الغاية هي تُهيّأ وتُثقّف.

حدّقت كارين بمعذبتها، وقد شعرت بالصدمة وعدم التصديق لما تسمعه. لقد عرفت بشأن نفوذ الكونتيسة من خلال العلاقة الناشئة بينها وبين لوك، لكنها لم تكن تعلم أن المرأة العجوز لديها هدف مدروس، وأنها ترمي حفيدتها الشابة في طريقه.

- لكن ماريا لا تزال في العاشرة من عمرها، ولوك قارب الخامسة والعشرين.

نظرت الكونتيسة إلى كارين نظرة لامبالاة: «لا أهمية لذلك! ما أهمية الخمس عشرة سنة؟ زوجي الراحل كان يكبرني بعشرين سنة. على أي حال،

www.elromancia.com

لقد انحرفت عن الموضوع الرئيسي. أرسلت بطلبك اليوم، كاثرين، لأحمل إليك تعليمات لوك. يطلب منك لوك مغادرة سانت انتاندر في الحال. إلى ذلك، هو لا يرغب في أي اتصال معك في المستقبل».

- لا...!

اعترضتها كاري متابعة: «لا أصدق هذا».

ارتفع أحد حاجبي الكونتيسة بتكبّر: «لماذا؟ ألأنك تبادلت وإياه العناق؟ أنتِ لست ساذجة، كاثرين. بعد كل شيء، أنتِ أمضيت هنا عطلاتك المدرسية فقط، برفقة أبيك وأخيك».

- لكن لوك...

توقفت كاري فجأة. لم يصرّح لوك عن حبّه لها ولم يعدها بشيء. لكنها اعتقدت أنه يبادلها الشعور، وأن اعترافه لها بحبه هو مسألة وقت فقط. لكنه يحبها بقدر ما تحبه.

البارحة، عندما أخبرها أنه مسافر في رحلة عمل، لم تتخيل أن شيئاً كهذا سوف يحصل. وعندما أصرّ على أن تعود إلى غرفتها اعتقدت أنه يريد أن يصون سمعتها. لكن الآن، أحلامها الرومنسية، الغنية، الجميلة قد تحطمت بالحقيقة المرّة التي ظهرت على لسان عرّابة لوك.

كيف يمكن أن يحبها لوك وقد أعطى عرّابته تعليمات بمعاملتها باحتقار و... بطردها؟

اعترفت كاري أن مشاعرها نحو لوك ظلّت غامضة حتى هذا الصيف. ظلّ لوك مرشدها لسبع سنوات، وهو شخص يأخذ واجباته ومسؤولياته بجدّية. كان متحفظاً دائماً ما جعلها تشعر بأنها صغيرة وغير مهمة، رغم أنها تعرف مدى الاحترام الكبير المتبادل بينه وبين والدها، الذي كُلّف من قبل الوصي على لوك بنصحه وتثقيفه في المسائل الدولية المعقدة المتعلقة بالمال والاقتصاد. كما تعرف أيضاً أن مجلس الوصاية على عرش الإمارة، الذي كُلّف تولي الحكم حتى يبلغ لوك الخامسة والعشرين، سوف تنتهي ولايته خلال أشهر، وسوف يتولى لوك حكم الإمارة بعد ذلك.

- لوك، ماذا؟

تحدّتها الكونتيسة ببرودة: «من الواضح أنه فقد اهتمامه بك بعد أن تسلّى معك قليلاً، فابني بالمعمودية رجل ذو كبرياء ومبدأ، ويعرف واجباته جيداً. أنت بالنسبة له كنتِ تسلية مؤقتة يريد أن ينساها. أنت الآن تدركين ذلك بالتأكيد، بعد أن أخبرتك بما أملاه عليّ لوك من تعليمات. أخبرني والدك أنه عُرِض عليك مقعد في جامعته القديمة، ولا بدّ أن هناك أشياء كثيرة عليك القيام بها في إنكلترا تحضيراً لبدء دراستك الجامعية، لذا حجزنا لك على رحلة صباح الغد من نيس إلى هيثرو، وسيقلك سائقي الخاص إلى المطار. آه! لقد نسيت شيئاً. طلب مني لوك أن أعطيك هذا».

تابعت الكونتيسة وهي تناول كاري شيكاً: «يعرف لوك أن قسط الجامعة مرتفع، وتمنى عليّ أن أخبرك بأنه لا يريدك أن تعتقدي أنه لا يقدّر...».

قاطعتها كارين بحدّة، وقد ظهر على وجهها الكدر والغضب الشديدين: «أخبري لوك أنه يستطيع الاحتفاظ بماله، وأنني لا أريد ماله ولا أريده هو. لماذا أريده؟ فما هو إلا... إلا... شخصية مهملة من أوبريت رخيصة، ممثل إيمائي يعتقد أنه مميز لأنه يرتدي زيّاً ويدّعي أنه أمير. السبب الوحيد لبقاء هذه الأرض له هو أن لا أحد يريدها. إنه مجرد نكتة سخيفة! يمكنك إخباره بأني قلت ذلك».

- كيف تتجرأين على قول هذا؟

قالت الكونتيسة ذلك وقد فقدت تجردها البارد والمتعجرف، وظهر عليها غضب شديد، ثم تابعت تقول: «ابني بالمعمودية يرجع نسبه إلى أكثر من خمسمئة سنة، أي إلى الأمير الأول لسانت انتاندر الذي مُنح هذه الأرض كهدية من البابا. ومنذ ذلك الوقت حافظت عائلته على الأرض كأمانة مقدسة، فصانتها رغم كل المحن. لقد أصيب جدّه بطلق ناري أفقده حياته لأنه سمح لجنود الحلفاء بالرسو على شواطئنا. سانت انتاندر ليست مجرد مملكة دمى متحركة، هذا ما برهنته العائلة الحاكمة عدّة مرات. بكلامك الذي يدل على جهلك للحقيقة برهنت أنك لست جديرة بمشاركة لوك حياته».

برغم أن كاري تكره الكونتيسة، لكنها أحسّت بالخجل. صحيح أن

عائلة لوك لها تاريخ وتعاليم لدعم القضايا العادلة التي تنفع البشرية، لكنها ليست بمزاج جيّد لتعترف بالصفات الحسنة التي يتحلى بها لوك. بالحقيقة، في هذه اللحظة وفي هذا الوقت، شعرت أنها تكره لوك أكثر مما تكره عرّابته المتلاعبة. استدارت في مكانها متجاهلة الشيك المصرفي الذي لا زال في يد الكونتيسة، وتوجهت نحو الباب قبل أن يهدأ انفعالها.

١ - عودة إلى القصر

احتضنت كاري شقيقها المتزوج حديثاً وعروسه الجذابة قائلة: «لن أقول كونا سعيدين، لأني أعرف أنكما ستعيشان بسعادة. أنا مسرورة جداً لأجلكما».

توسل إليها هاري بإلحاح: «كاري، هناك شيء تريدك ماريا أن تفعليه لأجلها».

نظرت كاري إلى الفتاة الجميلة ذات الشعر الأسود التي يغمرها أخوها بذراعيه نظرة تساؤل.

- لو سمحت، كاري. هل يمكنك الذهاب إلى سانت انتاندر لإعلامهم بزواجنا؟

سألت كاري بحذر: «هل تريدينهم أن يعرفوا؟».

بدت كاري متفاجئة تماماً لإعلان شقيقها الأصغر قبل عدة أيام أنه وماريا سوف يتزوجان. رغم كل شيء، ألم يكن من المفترض أن تتزوج ماريا من لوك؟

على الرغم من عدم وجود إعلان رسمي عن خطوبة أو زواج قريب، إلاّ أن ماريا نفسها اعترفت أن الجميع كانوا يتوقعون أن تتزوج من لوك، حتى لوك نفسه كان يعتقد ذلك. عندما ذكّرتها كاري بذلك أجابت أن جدتها هي التي قررت أنها هي ولوك سوف يتزوجان، لكن ماريا لم تكن لديها أي نيّة بأن تُجبَر على زواج سخيف، لا سيّما الآن عندما وقعت هي وهاري بحب بعضهما البعض بقوة.

- بالطبع أريدهم أن يعرفوا، فليس هناك من شيء أخفيه.

أجابت ماريا رافعة رأسها بفخر. نظرت إلى هاري ووجهها مفعم

www.elromancia.com

بالحيوية وبحبها له عندما أضافت برقة: «الآن، لا شيء، ولا أحد يمكنه أن يفرّقنا أو يؤذينا بأي طريقة كانت».

نظرت كاري إلى وجهيهما المبتهجين، واعترفت أنها تحسدهما على ثقتهما هذه وحبهما المتبادل. بدا جلياً أنهما مغرمان ببعضهما البعض، أما هاري فبدا فخوراً كفارس قديم جاء على ظهر تنين ليخلّص حبيبته من الموت. رغم أن هاري أصبح رجلاً الآن، تذكرت كاري ذاك الولد الذي كانت تدلله وتحميه أثناء ترعرعهما بدون أم.

آخر شيء كانت تريد القيام به هو الذهاب إلى سانت انتاندر. لكن كما يحدث دائماً، مناشدة هاري لها بالذهاب جعلتها تذعن لأنها لا تتحمل أن تخذله.

سمعت كاري ماريا تقول لها بثقة: «لا تقلقي! أعرف أنك ولوك متخاصمان، لكن لا تخافي، فأنت لن تريه. لوك... سموه... لن يكون هناك. إنه في بروسليز يقوم بعمل هام، وعندما يعود يتوقع أن يجدني أنا هناك، لذا أشعر أنني مدينة له».

ردّت كاري وقد غضبت من افتراض ماريا أنها تشعر بالخوف عند تفكيرها بتحدّيها للوك: «ماريا! أنتِ لا تدينين لهذا الأمير الألعوبة بأي شيء! لا شيء على الإطلاق! لو عرف طريقه...».

أوقفتها ماريا وقد امتلأت عيناها بالدموع: «يجب أن يعرف، كاري. أعرف أنك لا تحبينه، لكن لوك لم يؤذني أبداً و... وهذا ليس كل شيء».

تابعت رافعة ذقنها بتكبّر: «أريد من كل شخص في البيت، لاسيما جدتي، أن يعرف كم أحب هاري وكم أنا فخورة بأنني زوجته».

عندما نظرت كاري إلى هاري لان قلبها وتذكرت الشعور الأمومي بالمسؤولية، كما تذكرت الحب البالغ والحنان الذي تشعر به تجاه أخيها. لطالما كانت مفرطة في تدليله كما يدّعي أصدقاؤها، لكن كاري لا تتحمل الشعور بعدم حمايته، وكانت مسرورة لرؤيته سعيداً. فحبّه لماريا وزواجه منها قد أعطياه نضجاً ربما كان يفتقده سابقاً.

صحيح أنها كانت تشعر بالقلق عليه مؤخراً، لاسيما أن الأمر يتعلق

بعمله... لكنها الآن لا تريد الإسهاب في مشاكل ماضية، ولا تريد توبيخه لعدم إخبارها عن علاقته بماريا، فهي سعيدة جداً لأجله، لذا فهي أبعد ما تكون عن القيام بذلك.

نعم، إنها سعيدة لأجله، لكن ذكر ماريا لجدتها أيقظ داخل كاري ذكريات بعيدة كل البعد عن السعادة في ما يتعلق بها شخصياً.

آه، نعم. جدة ماريا!

فجأة ومضت عينا كاري واكتست ببعض الصلابة.

- من فضلك كاري.

توسلت ماريا قبل أن تتابع قائلة: «لا أحد يمكنه أن يقوم بهذا لأجلي. لا أثق بأي شخص آخر... من غيرك يستطيع أن يفهم كيف تجري الأمور في منزلنا في سانت انتاندر... وكيف هي الأمور مع لوك! لو سمحت، اذهبي مباشرة إلى هناك وأخبري جدّتي، وبدورها ستتمكن من إخبار لوك».

مجرد ذكر اسم جدّة ماريا كافٍ ليطلق الأفكار الحقيرة والمغرية في ذهن كاري. ذكّرت نفسها بحزم أنها لم تعد فتاة الثامنة عشرة الساذجة، هي الآن امرأة، ناضجة وواثقة من نفسها. إنها عالمة اقتصادية كبيرة لا يستهان بها، وهي تعمل لحسابها كصحفية متخصصة بالشؤون الاقتصادية.

عزمت كاري على الاستمرار بالرفض، لكن ماريا أصرّت بعناد على أن سمو الأمير لوك حاكم إمارة سانت انتاندر الصغيرة، تلك الإمارة التي تتحلى بتنظيم كامل، يجب أن يعرف أن عروسه العتيدة اختارت أن تتزوج الرجل الذي كان رفيق الطفولة: هاري.

- من فضلك كاري.

توسل إليها هاري، عندها أحسّت ماريا أن مقاومتها قد ضعفت.

اعترفت بحزن أن جزءً منها لا يَسَعُه سوى الشعور بالانتصار لأنها هي بالذات من ستحمل هذه الأخبار للكونتيسة، وهي أن حفيدتها لن تقبل بخنوع بخطة جدتها، ولن تنفذ طموحها لجعلها زوجة لوك.

الدفء الذي أحست به كاري عند خروجها من مطار نيس، حين كانت تدفع المال لسيارة الأجرة، منحها ارتياحاً مرحّباً به بعد الربيع البريطاني

الرطب البارد.

بالرغم من بشرتها الإنكليزية الناعمة وشعرها ذي اللون الأشقر الطبيعي الذي يصل حتى كتفيها، فكاري لم تستمتع أبداً بمناخ بلادها الشتوي المزعج. لعل السبب في ذلك يعود إلى تلك العطل المدرسية التي أمضتها برفقة والدها في سانت انتاندر، فهذه العطل جعلتها مولعة بدفء شمسها.

استقال والدها الآن، وهو يعيش في أستراليا مع زوجته الثانية التي كانت أرملة مثله عندما التقيا. أحبت كاري زوجة أبيها التي عبّرت عن سرورها لكسب أولاد راشدين من زوجها، بما أنه ليس لديها أولاد.

توفيت والدة كاري في حادث سير عندما كانت كاري في السابعة من عمرها وهاري في الثانية، فكان هذا من الأسباب التي دفعت والدها إلى قبول الوظيفة في سانت انتاندر، التي كان من ضمنها الاستفادة من عناية جيّدة بولديه الصغيرين. إلا أن هذا لم يمنع كاري من اتخاذ موقف أمومي نحو أخيها الصغير.

رغم أن مطار نيس هو أقرب مطار إلى سانت انتاندر، هذه المنطقة التي هي عبارة عن أرض صغيرة بين فرنسا وإيطاليا، فقد تأثرت سانت انتاندر بطريقة العيش الإيطالية أكثر منها بطريقة العيش الفرنسية. إذ يتكلم شعبها الإيطالية مع عدد قليل متناثر من الأسماء والتعابير الفرنسية. ولطالما فكرت كاري أن لوك نفسه هو مثال الرجل الإيطالي اللاتيني.

تتميز الإمارة بميناء ومدينة كبيرة يحيط بها سور. يتوسطها قصر مهيب، هو مركز رئيسي لإقامة لوك، كما أنه المركز الذي تقع فيه مكاتب الحكومة. يملك لوك أيضاً منزلاً في جبال الألب يقيم فيه في موسم الصيد ويستعمله كمأوى شتوي للتزلج. أقيم القصر بعيداً عن الشاطىء، في موقع استراتيجي يشرف على الطريقين الرئيسيين اللذين يوصلان إلى المنطقة.

بما أن الطريقة الوحيدة للوصول إلى القصر هي إما بقيادة سيارة خاصة أو باستئجار طائرة خاصة، اختارت كاري القيادة. ربما هي تجني مالاً كافياً للعيش في بحبوحة، لكنه ليس كافياً لتبذيره باستئجار طائرة خاصة. لن تندفع كما يفعل أولئك المقاولين الذين يندفعون إلى سانت انتاندر للاستفادة من

قوانين الضرائب فيها، والمشاريع الجديدة المشجعة التي يضعها لوك لجذب الإيرادات للإمارة الصغيرة.

عندما أخبرت كاري صديقتها المقرّبة ووكيلتها فيس بارنز بما تفعله، سألتها فيس بحماس: «إلى أين تذهبين؟ هل تكتبين مقالاً عن المكان؟ أهذا السبب أنت هناك؟ علمت أنه مكان مغمور بالترف، وأنه لا يمكن شراء غرفة نوم واحدة بأقل من مليون».

وقف الرجل الفرنسي الذي سلّم السيارة المستأجرة لكاري يراقبها بإعجاب، أثناء تفحصها السيارة. ارتدت كاري بنطلوناً طويلاً وقميصاً ناعمة تغطي صدرها بتحفظ، ووضعت نظارتين شمسيتين لتظلل عينيها ذات اللون الأخضر المائل إلى الزرقة، حيث كان شعار المصمم مخفياً عوضاً عن التباهي به.

نظرت إلى ساعتها العملية المشدودة حول معصمها نظرة سريعة، ثم فتحت باب السيارة. إنها العاشرة صباحاً، ما يعطيها الوقت الكافي للذهاب إلى سانت انتاندر والعودة إلى الفندق حيث حجزت غرفة لقضاء فترة راحة قبل العودة إلى المنزل.

فصل الربيع في الكوخ اللازوردي هو فصل مدهش. فكّرت كاري بذلك أثناء توجهها إلى منتون لتسلك الطريق الساحلي.

مع ذلك هي ليست على عجلة من أمرها لتصل إلى سانت انتاندر وتنفذ انتقامها، فكما يقولون: الانتقام طبق يستحسن تناوله بارداً.

لم تنسَ كاري الطريقة القاسية التي تحدثت فيها الكونتيسة إليها، ولم تسامح الرجل الذي أعطى تلك المرأة السلطة لتفعل هذا. لم تعد كاري الفتاة الساذجة، ابنة الثامنة عشرة التي أغرمت بتهور بلوك، بعد أن ملأ عاطفتها وأفكارها. كان عليها أن تنضج بسرعة منذ ذلك الحين.

ظهر حزن في عينيها قبل أن ترمي ذكرياتها المؤلمة بعيداً، وسرعان ما لفت انتباهها الريف الذي كان مألوفاً بالنسبة إليها في ما مضى. ثلاث سنوات أمضتها في الجامعة، تبعها تقاعد والدها وزواجه الثاني، أكدت لها أن ما من حاجة تدعوها لتعود إلى سانت انتاندر بعد أن سلمتها الكونتيسة رسالة لوك

بطردها.

رأت لافتة متواضعة تشير إلى الطريق المؤدي إلى سانت انتاندر. بخلاف موناكو، فسانت انتاندر لم تعلن نفسها كمدينة جاذبة للسياح.

رأت كاري بساتين الزيتون التي تحيط بجانبي الطريق، ولمحت عن بعد البحر بلونه الفيروزي اللّماع. أنزلت زجاج نافذة السيارة عند اقترابها من الحدود، وتنشقت عبير الهواء الدافىء الآتي من الشرق مع مزيج مُسْكر من العطر وحرارة الشمس.

تقدّم حارس عند توقفها، فلاحظت أنه يرتدي لباساً عسكرياً مألوفاً من لباس الجيش التاريخي الذي يدل على الأبهة الفارغة. سلّمته كاري جواز سفرها، وانتظرت إلى أن تفحّصه وتفحّصها قبل أن يعيده إليها.

انتبهت كاري أنها كانت تحبس أنفاسها عندما جهزت السيارة للانطلاق. لماذا؟ رغم كل شيء لوك ليس في المنطقة... لا بأس! على الأرجح، لن يكون اسمها على لائحة من لا يسمح لهم بالدخول.

كلما اقتربت كاري أكثر من المنطقة، كانت تُفتَن بالمنظر الجميل فيها. قبل قرون، قبل أن تُهدى إلى أجداد لوك، كانت جماعة من الرهبان تملك هذه الأراضي. أما اليوم، فأصبح الدير الذي بني في أعالي الألب مركز تزلج حصري يملكه لوك، لكن العناية بزراعة الأراضي قد سُلّمت للناس في المنطقة. لم تستطع كاري إلا أن تُعجَب بنظافة وترتيب صفوف الكرمة وبساتين الزيتون، كلما اقتربت من العاصمة.

والدها هو من شجّع لوك لجعل شعبه يعيل نفسه بنفسه قدر الإمكان. كل جزء من الأراضي الزراعية يستخدم للإنتاج كما يجب، ويمكن لكاري أن ترى الشمس تتلألأ على البيوت البلاستيكية التي تغلف محصول الفواكه والخضار العضوية الرائجة جداً هناك.

بدأت تتسلق الطريق، وقد ظهر تحتها البحر والمرفأ الصغير...

شعرت باضطراب بطيء في قلبها عندما لمحت السور الطيني الشاهق، القائم فوق المنظر الريفي الجميل. بني القصر على صخرة بارزة محاطة بسهل خصب، وهو موقع دفاعي بامتياز. تذكرت كاري الصدمة التي شعرت بها

وهي في الثانية عشرة من عمرها، عندما اصطحبها لوك لرؤية البرج المحصّن.

الانحدار الشديد للطريق عزل دفء أشعة الشمس، كما جعل كاري ترتجف من البرد بسبب ظل القصر المهيب. حتى لو كانت تجهل تاريخ هذا المكان، يمكنها التخيّل بسهولة كم يظهر مرعباً لأي قوة معتدية.

قادت سيارتها باتجاههم تحت الممر الضيق الشبيه بالنفق إلى المدينة. وطرفت عينيها عندما ظهرت أشعة الشمس المشرقة من جديد.

أخبرتها ماريا أن جدتها قد تكون في مسكنها المفضل الذي خصّص لها في القصر، بدلاً من البقاء في الڤيلا الخاصة بها في البلدة، لذا أوقفت كاري سيارتها في ساحة المدينة، وترجلت منها. قوّمت كتفيها قبل أن تشق طريقها من موقف السيارات في السوق باتجاه القصر.

* * *

عبس سمو الأمير لوك دي أوربينو، أمير سانت انتاندر وهو في مكتبه الخاص الذي يشرف على المدينة. لقد عاد لتوه من بروسليز حيث كان منهمكاً في محادثات صعبة ومطولة حول قانون الإعفاء الضريبي في بلاده، ليكتشف أن الاضطراب السياسي الذي كان يجيش بين الحرّاس المتمسكين بتقاليد أجداده وأخصامهم الشباب قد وصل إلى درجة الغليان. بدا عابساً وهو يصغي إلى كلام رئيس وزرائه وابن عمّه الأكبر سناً، الذي قال له بتهذيب: «يرغب الناس برؤيتك متزوجاً. إن عدم وجود وريث لك حتى الآن يجعلهم يشعرون بعدم الأمان، بالإضافة إلى ذلك، زواجك يساعد على تحويل انتباه الناس عن هذا الهياج الذي سببه أولئك المتهورون الأغبياء الذين يتهموننا بأننا نسمح للقتلة المجرمين باستعمال بلدنا لتبييض الأموال».

كتم لوك تنهيدة وهو يستمع إلى هذا الحديث. إنه يشفق كلياً على هؤلاء «المتهورين الأغبياء»، لكن مركزه لا يسمح له بالانحياز إلى أي فريق. وفوق ذلك، هو مقيّد باحترام وحماية سمعة الأعضاء الحسّاسين القديمي الطراز المتبقين في الحكومة، والذين يدافعون عن طريقة أجداده في الحكم، وذلك احتراماً لسمعة أجداده.

– لقد أوضحت ذلك سابقاً، بصفتي حاكم هذا البلد. ما من وسيلة

أعتزم فيها السماح لأي شخص بالاستفادة من موت أناس آخرين. أو بتغطية أي أعمال أخرى غير شرعية مستفيداً من قوانين الضرائب هنا...

بدأ لوك الكلام بهدوء، لكنه توقف فجأة عندما نظر من النافذة إلى السوق تحته.

رأى لوك امرأة تقف هناك، وهي تدير ظهرها نحوه، فيما تومض الشمس فوق شعرها الأشقر الناعم المتدلي على كتفيها. رفعت المرأة يدها ومررت أصابعها بشعرها كما لو أن صبرها نفد. تصلّب جسمه فوراً، ووقف وقفة صياد بغير قصد منه. وقف صامتاً لكن متيقظاً، كأنه اشتم غريزياً رائحة فريسته. على الفور، لاحظ شيئاً بشأن تصرفها، بشأن استقلالها البالغ القوة.

- عذراً جيوفاني. يجب أن نؤجل مناقشة هذا الأمر إلى وقت لاحق.

نظر إليه ابن عمه بارتباك، بينما دفع لوك الباب بقوة، ومشى بخطى واسعة رشيقة إلى الخارج.

لا تحتاج كاري إلى سؤال أحد لتستدل على مسكن الكونتيسة في القصر. هي تعرف تماماً أين يقع الجناح الذي تشغله الكونتيسة، كما تعرف كيف تتملّص من شكليات الدخول من الباب الرئيسي للقصر، حيث يتوجب عليها أن تظهر نفسها لكبير الخدم المرتدي بزة نظامية أنيقة. لا شك أنه يقف هناك خلف الحارسين اللذين يرتديان بزتين نظاميتين تقليديتين وخوذتين، وكل منهما يحمل بندقية قديمة ذات طراز تاريخي.

ذانك الحارسان موجودان هناك للعرض فقط وليس لشيء آخر، فبندقيتاهما فارغتان. لكن هذا لا يعني أن القصر ومن يشغله غير محميين بحرص وفعالية من قبل الرجال المدنيين الذي لا يرتدون بذلات نظامية، ويعملون كحرّاس لوك الأمنيين.

عاودتها مئات الذكريات عندما انسلت من الباب الجانبي إلى داخل القصر؛ مزيج من الأثاث القديم الثمين، أعمال فنية وأحجار قديمة. علاوة على ذلك... هناك رائحة لوك. مزيج عنيد وخطير من الروائح الساحرة غير المحددة الخاصة به... أتراها تسمح لمخيلتها ولذكرياتها الخطيرة بأن تلعب

لعبة أكثر خطورة عليها؟

أغمضت كاري عينيها بغضب، محاولة أن تمحو الذكريات المركزة بوضوح في مخيلتها. من الأفضل لها أن تتذكر صوت الكونتيسة المتغطرسة البارد، والاحتقار والوحشية اللتين عوملت بهما، كما أمر لوك، بالإضافة إلى الألم الذي أحسّته عندما...

- إذاً، هذا أنتِ كما توقعت؟!

- لوك!

رجعت كاري إلى الوراء مصدومة، واتسعت عيناها دهشة. ماذا يفعل هنا؟ أصرّت ماريا على أنه في بروسليز، أما هي فأصرّت على أنها ليست خائفة من رؤيته... ليست خائفة مطلقاً!

- حسناً! ضيف غير متوقع بالفعل.

خلافاً لها، كان لوك يرتدي بذلة رسمية من الكتان لونها قشدي، مع قميص بيضاء ناصعة. وبشرته العسلية الدافئة ما زالت كما تتذكرها... تذكرت كاري تلك الليالي الطويلة المؤلمة حين كانت تنتابها الهواجس خوفاً من فقدانه، إلى حد أن كل ما يمكنها تذكره هو لوك نفسه.

قد تبدو بشرته دافئة لكن قلبه بارد كالثلج... على الأقل في ما يخصها.

أعادت كاري ترتيب أفكارها، وقد شعرت بالذعر والغضب من نفسها. رغم كل شيء، هي لم تعد تلك المراهقة البريئة التي تتقاذفها الانفعالات السريعة والمشاعر المضطربة.

رفعت رأسها قائلة له بحدّة: «في الحقيقة، أتيت لأقابل الكونتيسة».

- عرابتي؟ هي ليست هنا. إنها تزور ابنة أختها في فلورنسا. لماذا تريدين مقابلتها؟ كما أتذكر، فإن الود مفقود بينكما!

إذاً لوك يعرف ذلك، ومع هذا سمح لعرابته بأن تذلها كما فعلت.

كانت كاري بحاجة إلى هذا التذكير كي تتخذ موقفاً عدوانياً، وتقول له بتحدٍ: «لدي رسالة لها من ماريا».

ظنت كاري أنها ستستمتع بالأمر، لكن معدتها هبطت كمصعد ذي سرعة عالية عندما لاحظت الطريقة التي ينظر فيها لوك نحوها. دققت عيناه بتركيز

بها، وبدتا قاتمتين جداً إلى درجة أنهما ظهرتا بلون أسود بدل اللون الرمادي الغامق الذي تعهده كاري فيهما.

يمكنها أن تحسّ الصمت يمتد بينهما على نحو خطر... يمتد بعدائية وتوتر غير مصرّح به...

- أية رسالة؟ أعطيني إيّاها.

يا له من متغطرس! في الثامنة عشرة كانت تعبده بحماقة، لذا قبلت بغطرسته، لكن ليس الآن. شعرت بالتوهج الخفيف يعلو خديها على الفور. أخذت كاري نفساً عميقاً، حسناً! لن تحرمه من تسلّم الأمانة - العقوبة التي كلّفت بتسليمها.

- بكل سرور! ماريا أرادت أن تخبركم أنها تزوجت من هاري، شقيقي.

ابتسمت كاري بصعوبة وهي تتابع مؤكدة: «إنها تحبه وهو يحبها و...».

٢ - و... حصل ما ليس في الحسبان

- اتركني لوك!

طلبت منه كاري ذلك وهي تحبس أنفاسها، بينما راح وجهها يتوهج بغضب شديد. إلا أن قبضته القاسية على ذراعها لم ترتخ لحظة واحدة، كذلك السرعة التي جرّها فيها نحو الرواق. بدا الرواق ملمعاً بأناقة، جدرانه مزينة بمجموعة من الدروع والسيوف الثقيلة التي تبدو خطيرة.

ألقت كاري نظرة خاطفة على الصورة التذكارية لعائلة دي أوربينو المعلّقة فوق الأبواب المزدوجة، قبل أن يدفع لوك الأبواب لتفتح. راح يدفع كاري مرة ويجرها مرة أخرى إلى غرفة الاستقبال المزودة بأثاث أنيق. أدركت كاري بغضب أنها في غرفة الاستقبال الرئيسية الفخمة التي تؤلف جزءً من الجناح الخاص الذي يشغله لوك. لم تتغيّر الغرفة عما كانت عليه في المرة الأخيرة التي كانت فيها هناك. ربما بهت لون الحرير والدمقس أكثر، أو ربما غيابها لثماني سنوات أعطاها تقديراً ناضجاً أكثر للجمال الفاتن لأثاث الغرفة. لكن، أهذا كل شيء؟ لم تزل صورة عائلة لوك حيث ظهر لوك، ابن السنتين، واقفاً في الوسط، داخل إطارها الفضي الفاخر.

فكرت كاري أنها كانت غبية وحمقاء حين اعتقدت، نظراً لكونها هي ولوك قد خسرا أمهاتهما في سنٍ مبكرة، فإن ذلك قد يشكل رابطاً خاصاً بينهما.

في الواقع لم يخسر لوك أمه فقط، بل خسر والديه معاً إثر حادث تفجير إرهابي وحشي مرعب في أميركا الجنوبية، بينما كانا في زيارة هناك...

- ماريا تزوجت شقيقك؟

لم تسيء كاري فهم الغضب الذي ظهر في صوت لوك، ولم تستطع مقاومة

سخريتها حين قالت: «أنا آسفة إن كان هذا الخبر قد خيّب أملك».

اتسعت عينا لوك الرماديتان وتوهجتا غضباً، ورقّ فمه لإدراكه استهزاءها به، فقال متسائلاً: «خيّب أملي؟!».

- مع ذلك، أنا واثقة أنه يمكنك إيجاد شخص آخر.

التعبير الساخر في كلام كاري جعل عينيها تبدوان داكنتين كما جعل فمها يبدو ملتوياً.

ماريا نفسها لم تتردد يوماً في اعتبار رغبة لوك بالزواج منها مجرد مشروع عملي محض، حتى إنها قالت لكاري: «لوك لا يحبني، لكنه دائماً لطيف معي. وقبل أن ألتقي بهاري مرة ثانية وأقع في حبّه لم أجد مانعاً في أن يكون زواجي من لوك زواجاً سياسياً، أما الآن فلا أحتمل فكرة الزواج من أي شخص آخر غير حبيبي هاري. إذا ما عدت إلى سانت انتاندر وأخبرت جدتي ولوك، أخشى أن يمنعاني من الزواج بهاري. يمكنهما أن...».

- يجبرانك على الزواج بلوك...؟

أكملت كاري عنها، فهي لم تتردد أو تخف من قول الكلمات التي أحسّت أن ماريا مترددة في قولها بسبب ولائها للوك.

لكن ماريا تابعت القول مدافعة عن لوك: «لوك يجب أن يتزوج، الناس يتوقعون زواجه، وهو بحاجة إلى وريث».

- العالم مليء بالنساء اللواتي يتلهفن للزواج للحصول على هذا كله، لوك.

قالت كاري ذلك وهي تشير إلى القصر والمنظر الطبيعي الذي يقع خلفه، ثم تابعت: «...والحصول عليك أيضاً. أنت مثير للاهتمام، أليس كذلك؟ أمير حقيقي، تستطيع تقديم أشياء كثيرة: تكبّرك، برودتك، افتقادك لأي عمق عاطفي حقيقي...».

قاطعها لوك بلا مبالاة: «هذا يكفي! أنت محقة بشيء واحد كاثرين، وهو أنني أستطيع إيجاد امرأة تأخذ مكان ماريا بسهولة، بسهولة مطلقة. بالحقيقة...».

لاحظت كاري أن الابتسامة على وجه لوك غير ودّية. كما ظهر شيء ما

في تعبيره جعلها ترتجف فجأة. كما جعلها تندم على انفجار العاطفة المرة المكبوتة لديها.

- بالحقيقة...!

كرر لوك بهدوء، ثم أضاف قائلاً: «سبق أن اخترت امرأة أخرى».

صُدمت كاري من كلامه. سبق له أن اتخذ خياراً ثانياً! اختار امرأة أخرى أبقاها بعيدة عن الأنظار... يا لبرودته! فكّرت بازدراء. لكن قبل أن تعبّر عن ازدرائها تابع لوك برقة: «إذا لم تتزوجني ماريا، فأنتِ، كاثرين، سوف تتزوجين بي».

حدّقت كاري إليه صامتة... متفاجئة... وغير مصدقة لما تسمعه.

عندما استطاعت الكلام سألته بصوت مرتجف: «ماذا تقول؟ لا شك أنك تمزح».

- أؤكد لك أنني لا أمزح.

على العكس منها، بدا صوت لوك جازماً ومؤكداً. أضاف بشراسة: «شعبي يتوقع مني إعلان زواجي بين لحظة وأخرى. هناك الكثير من الشائعات والتكهن عن الموضوع. سيشعرون بالاحباط إذا خذلتهم الآن. هم يعتقدون أنه آن الأوان لأتخذ لي زوجة».

ذكرته كاري بلا مبالاة: «لكنهم يتوقعون زواجك من ماريا».

أجابها لوك بتكبّر مثير: «لا يهمهم من أتزوج، ما يهمهم هو أن أتزوج».

- ربما الأمر كذلك، لكنك لن تتزوج مني.

ردّت كاري بعنف، شاعرة بالارتياح لأنها بدأت تصحو من الصدمة السابقة.

- أوه! بل ستتزوجك كاثرين. كما سبق وأخبرتك، شعبي يتوقع إعلاناً قريباً عن الزواج. أنت تعلمين أن هذه دولة تقليدية. الجيل القديم له معتقدات وتوقعات راسخة في ذهنه ولا تتغير. هو الآن يشعر أن قيمه مهددة من قبل الشباب في سانت انتاندر. في المقابل يعتقد شباب سانت انتاندر أن الطريقة الوحيدة لإحراز تقدم هي تفكيك ما وضعته الأجيال السابقة.

«في الوقت الحاضر أنا منهمك بمحادثات طويلة ودقيقة جداً. تتضمن

النظر في مشكلة الجماعات المتصارعة في سانت اتاندر، كما تتضمن النظر في مشكلة المقيمين على أرضنا. هؤلاء يعتبرون مصدر تمويل ثمين للدولة، ومن دون هذا التمويل لا يمكننا سد حاجات المستوى العالي للعناية الصحية والثقافة اللتين يحصل عليهما شعبنا. زواجي سوف يطمئن الجيل القديم إلى أن العادات التي تهمهم هي موضع احترام، وفي الوقت نفسه هو رسالة واضحة لكل شخص آخر بأنني باق على تعهدي بالحفاظ على دولتي ومستقبلها».

حدقت كاري به بازدراء واشمئزاز قائلة: «لا عجب في أن ماريا فضلت الزواج من شقيقي. صحيح أنه لا يملك مالك ومركزك، لكنه على الأقل إنسان يتمتع بمشاعر وردود فعل إنسانية. هو ليس بارداً وماكراً مثلك».

- أعتقد أنك تكلمت بما فيه الكفاية، بل أكثر من اللازم!

شعرت كاري بقوة إرادته العنيدة الصلبة تصل إليها وتطوّقها، لكنها رفضت بعناد الاستسلام لها أو... له، فأكملت تقول: «أنا لم أعد مراهقة، خائفة ومرتعبة. إذا أردت زوجة فابحث عن امرأة أخرى. لن تقنعني بالزواج منك مطلقاً».

- أحقاً؟

أحسّت كاري أن النظرة في عيني لوك أصابتها مباشرة في قلبها.

تابع لوك بسخرية: «سمعت مؤخراً أشياء مهمة عن... شقيقك الرائع جداً، هاري. أخبريني! أما زلت تحمينه؟ أما زلت مخلصة له كما في السابق؟ أما زلت مستعدة للانطلاق للدفاع عنه؟ بالطبع، أنت كذلك».

أجاب لوك عن سؤاله بنفسه متابعاً بسخرية مهينة: «وإلا لما كنت هنا. أليس كذلك؟».

ثم تابع من دون أن يفسح لها المجال للإجابة: «أعتقد أنه يعمل لحساب مصرف تجاري. أيفاجئك إذا قلت لك إنه يقوم بمجازفات خطرة مستخدماً أموال الزبائن، وإنه على حافة اتخاذ قرارات سيئة؟ أيفاجئك ذلك أم لا؟ بالطبع لن يفاجىء ذلك شقيقة مخلصة ومهتمة مثلك. أنتِ أول شخص لجأ إليه عندما أدرك حجم الورطة التي وضع نفسه فيها».

أحسّت كاري أن أوتارها الصوتية تصلّبت، وأنها باتت غير قادرة على الإجابة أو على دحض اتهامه الفظ لشقيقها. أصغت إليه بعدم ارتياح بينما أحسّت بانقباض في داخلها بسبب الخوف. بأية حال، لا أحد غيرها يمكنه معرفة المشاكل والمخاطر التي وقع فيها هاري، لكن يبدو أن لوك عرف بها بطريقة ما. هل هذا يعني أنه عرف أيضاً...؟

- لحسن حظه أن لديه شقيقة مخلصة وذكية تقف بجانبه. ليس فقط بقدرتها بل باستعدادها لمساعدته وإخراجه من الورطة التي وضع نفسه فيها. فضلاً عن ذلك، شقيقته مستعدة للمخاطرة بوظيفتها وسمعتها المهنية من أجله. هذا ما فعلته أنتِ يا كاترين، أليس كذلك؟

- لا أفهم ما تقول!

أخيراً استعادت صوتها. لكن بصراحة، بدا لوك غير متأثر وغير مقتنع فعلاً بإنكارها المباشر.

- أنت كاذبة!

ردّ عليها قائلاً: «أنتِ تعرفين تماماً ما أعني. أخوكِ هاري أوقع نفسه في ورطة، وأنتِ أخرجته منها عندما نصحته بشراء أسهم لتعويض الضرر الذي سببه».

نظرت كاري في الاتجاه الآخر، مبعدة نظراتها عنه. بحق السماء! كيف نجح في معرفة هذه الأمور كلها؟ لقد عاهدت هاري بالتكتم كلياً على الموضوع. شعرت بالصدمة والقلق عندما أخبرها بخجل عمّا حدث له، ولم تكن قادرة إلا على مساعدته حتى لو...

- هاري شقيقي...

أجابت كاري بصوت جاف، ثم أردفت: «... ومن الطبيعي أن أساعده».

كرهت نظرة الرضى الساخرة التي رأتها في عيني لوك...

- حتى لو كان شقيقك... بإعطائه هذه المساعدة أنتِ متهمة بالاشتراك بتجارته لأنك اطلعتِ عليها.

أحسّت كاري أن أنفاسها احتُبست داخل صدرها، وشعرت باليأس

المؤلم. احتجّت قائلة: «لا! هذا ليس صحيحاً. المسألة ليست كما تتصور، ليست مسألة اشتراك بتجارته، فأنا...».

- قد لا يكون الأمر كذلك من وجهة نظرك، أو من وجهة النظر الصارمة للقانون، لكن إذا أعلن الأمر من الجهة الصحيحة ومع الدعاية المناسبة - أو بالأحرى من الجهة الخاطئة ومع الدعاية غير المناسبة - فما فعلته سيسيء إليك بالتأكيد. كبداية، فإنك على الأرجح ستخسرين وظيفتك ومنزلتك المهنية، ومن دونك طبعاً سيخسر شقيقك وظيفته. يمكنني تحطيمكما بمنتهى السهولة. أعتقد أنكِ توافقينني الرأي، كاثرين؟

- يمكنك ذلك. لكن ماذا عن ماريا؟ أم أنك تريد أن تؤذي ماريا؟

- طبعاً لا! فعرض الزواج من ماريا هو ترتيب دبلوماسي وليس حباً. ماريا آخر شخص أفكر في أذيته. في الواقع أنا معجب بها كثيراً، إلى حدٍ كافٍ يجعلني أبقي عينيّ يقظتين بالنسبة لما يفعله أخوك. إذا فكر أن يفعل شيئاً، أي شيء لأذيتها أو جَعْلها تندم على زواجها منه...!

- أنت تقول هذا، ومع ذلك أنت من يهدد بجعله يفقد وظيفته.

ذكرته كاري بشراسة، لكن لوك رد عليها بنعومة: «وفي يدك أنت الوسائل التي تحول دون حصول ذلك. القرار في يدك أنت، كاثرين».

حدّقت كاري إليه. مع أن الغرفة كانت دافئة، لكنها أحسّت كما لو أنها مغطاة بالثلج. شعرت بالبرودة تتسرب إلى عظامها، فتتقطر في عروقها بشكل مدروس وماكر كتهديد لوك بتعريض هاري للخطر وتدميره في النهاية.

- سوف تفعل ذلك!

الرعب والاشمئزاز اللذان تشعر بهما ظهرا جليين في صوتها. لكن بدا لوك منيعاً ولم يتأثر بذلك.

- أنا سعيد لأنك لا تتساءلين إذا كنت أستطيع فعل ذلك، كاثرين. ذلك يُظهر مدى فهمك الباهر للحقيقة. أما ما يمكن أن يكون أكثر من باهر فهو إظهارك لفهم مماثل لعلاقتنا القريبة المحتومة. لا تقلقي! لا أحد يتوقع دوام زواج متمدن لفترة طويلة. أنا متأكد أنني سأكتشف بسرعة أنني أخطأت بالزواج بك، وقريباً نكون أحراراً ليعيش كل منا حياته الخاصة به.

- أنت تبتزني بالتهديد!

اتهمته كاري بذلك مضيفة: «لا أشك أن هناك قانوناً ضد هذا النوع من الابتزاز».

عاد لوك يتكلم بنبرة ناعمة تنذر بالشؤم: «يبدو أنك نسيتِ؛ في سانت انتاندر، أنا القانون».

- أنت لا تستحق سوى الازدراء!

قالت كاري ذلك وصوتها محمّل بالاشمئزاز، لكن لوك أجابها ببرودة: «يعود القرار إليك، إمّا أن توافقي على الزواج بي، أو أخوك...».

- تعلم أنني لا أستطيع فعل هذا بهاري.

قالت كاري بمرارة متابعة: «أنت لم تتغير. أليس كذلك لوك؟ لا يمكنني التخيل كم كنت ساذجة في ما مضى لأنني...».

توقفت كاري عن الكلام فجأة وبدأ وجهها يتوهج بالحرارة.

- تابعي!

وبّخها لوك بسخرية: «لأنك... ماذا تحديداً؟ لأنك سمحت لي بمعانقتك ومغازلتك؟ لأنك تركتني أتعامل معك كامرأة ناضجة حقاً؟ لأنك...».

- كفى! كفى!

غطّت كاري أذنيها بيديها بغضب شديد، محاولة ليس فقط إخفاء كلماته القاسية بل أيضاً إخفاء الصور المزعجة المستحضرة في رأسها.

- تأخرت قليلاً الآن لتلعبي دور البريئة المجروحة، كاثرين. رغم كل شيء، أنت لم تخسري شيئاً... لقد استفدت مما تعلمته معي لاستخدامه خلال فترة مكوثك في الجامعة.

عضّت كاري بأسنانها على شفتها السفلى كابتة مشاعرها الحقيقية في داخلها.

رغم كل شيء، ما قاله لوك صحيح. لقد كتبت لوالدها يوماً تصف حياتها في الجامعة وكأنها حفلة طويلة. وكأنها تواعد شاباً جديداً كل أسبوع.

لكن ما من شيء أبعد عن الحقيقة من ذلك!

الألم الذي سبّبه لها رفض لوك جعلها تعود إلى ذاتها وتعامل الرجال

بفنتور، مركّزة على دراستها. لكن كبرياءها حملتها على الكتابة لوالدها، والتظاهر بأنها تعيش أجمل أيام حياتها. هي تعرف أن والدها لم يكن مسروراً بشأن ولعها القوي بلوك.

- أنتِ ما زلت في الثامنة عشرة من عمرك كاري، وما زالت الحياة بأكملها بفرصها المتعددة أمامك.

قال لها والدها ذلك، وتابع: «لكن لوك يعرف ما يستلزم مستقبله ومسؤولياته».

تذكرت كاري أن والدها شعر أن المهمة التي تقع على عاتق لوك مثبطة للهمة إلى أبعد حد.

كما قال لها مرّة: «جدّ لوك حكم سانت انتاندر كما لو أنها ما زالت ولاية من القرون الوسطى. ومهمة لوك هي العمل بطريقة ما على تحويل سانت انتاندر إلى دولة من القرن الحادي والعشرين. أنا شخصياً لا أحسده على وضعه هذا».

برغم ذلك، كان والدها معجباً بلوك. عرفت كاري ذلك...

- لوك! ها أنت قد عدت! كيف جرت الأمور في بروسليز؟

توترت كاري عندما فُتح باب غرفة الاستقبال فجأة. حُبِسَت أنفاسها في حنجرتها حين حدقت بصدمة كبيرة إلى الرجل الذي دخل من الباب. فالشبه بينه وبين لوك بدا قوياً إلى حد كبير. من الواضح أنهما يتشاركان الدم نفسه. بل... كأنهما شقيقان توأمان.

مع ذلك، لم تتعرف كاري عليه. فعبست قليلاً وقد لاحظت أن لهجته أميركية.

عندما رأى الرجل كاري، توقف عن الكلام ونظر إلى لوك نظرة تساؤل قائلاً: «أوه! أنا آسف. لم أدرك أنكَ لست وحدك».

- لا بأس، جاي! في الحقيقة، أنت أول شخص يسمع الخبر ويهنئني. اسمح لي أن أقدم لك المرأة التي ستصبح زوجتي، كاثرين برودبنت.

عندما حدّق الرجل بها، لاحظت كاري أن لون عينيه مختلف عن لون عيني لوك. فلونهما أزرق متّسع دافىء بدلاً من اللون الرمادي الفولاذي

البارد. قدّرت أنه أصغر من لوك ببضع سنوات.. وربما أصغر بآلاف السنين من جهة شخصيته وعناده.

- المرأة التي ستصبح زوجتك؟ لكن... اعتقدت أن ماريا...

توقف جاي عن الكلام وظهر عدم الارتياح على وجهه.

وسرعان ما شرح له لوك بهدوء: «هذه فكرة خاطئة شائعة، في الواقع، كاثرين وأنا نعرف بعضنا منذ مدّة، وقد أدّت الظروف الخارجة عن إرادتنا إلى انفصالنا، والآن اكتشفنا بعضنا ثانية».

- حسناً! أعتقد أن الطاقم القديم لا يهمه بمن تتزوج، طالما أنك ستتزوج. بدأوا ينتفضون خوفاً من أن تقرر جعل الحكم في البلد يخضع لنظام انتخابي بسبب المشاحنات التي حصلت. أنا، كمواطن أميركي، أتصور أن هذا ما يجب أن تفعله، لكنني أعترف أنني أحب التفاخر بأنني قريبٌ لأمير حقيقي. حتى لو كنت في المكان الخاطىء. أعتقد أن رجوعي إلى شجرة النسب هو من أهم الأشياء التي قمت بها في حياتي.

- أنت بليونير جاي! وقد حصدت هذا النجاح بفضل جهدٍ خاص. أعتقد أن هذا ما يمكنك التفاخر به، أكثر من ميزة مُنِحتها بمجرد قانون الولادة.

- انتبه لما تقوله لوك، وإلاّ اعتقدت أنك تفكر بأنني حصلت على الأفضل من ذلك المال المشترك الموروث. أعرف أنك لو كنت مكاني لفعلت تماماً ما فعلته أنا. لديك أفضل مخطط مالي، ولا تنسَ أنه كان لمصلحتي تسلّم أول مليون من والدي. أما أنت فما ورثته هو حمل ثقيل من المشاكل ومجموعة من الشعارات والرموز الملكية.

اتسعت عينا كاري حين سمعت طريقة السخرية الماكرة التي يتحدث بها الرجلان مع بعضهما. بالتأكيد، هذا جانب من شخصية لوك لم تشهده من قبل.

- على فكرة، أيمكن أن أكون أول شخص يعانق العروس العتيدة؟

ابتسمت كاري حين تقدّم نحوها، لكن ما أذهلها هو أنه حين وصل إليها مباشرة، قام لوك بوضع يده على ذراعها، وجذبها نحوه ليقف حائلاً بينهما.

- كاثرين، اسمحي لي أن أقدم لك ابن عمي، جاي فنز كلينبرغ. كما لاحظت، جاي وأنا اكتشفنا القرابة بيننا حديثاً.

- أجل، هذا صحيح! فجدّ لوك هو أيضاً جدّي، لكنه استخفّ بوضع اسمه على شهادة ميلاد والدي. الفضل يعود لجدتي لإعطائها اسم «فنز» كاسم مرافق لاسمي. يبدو أنها قرأت أن أبناء الملوك في إنكلترا كانوا في الأيام الغابرة يقدمون لقب «فنز» قبل اسمهم، لذا قررت إعطاء الاسم لوالدي وهو بدوره أعطاني إياه. أخبرتنا بما حدث معها فقط عندما عرفت أنها تُحتضر. حتى ذلك الحين، تظاهرت أنها تزوجت خلال الحرب وفقدت زوجها. آه! أشعر أنني أضجرتكم بكلامي، وأن ما تتمنيانه الآن هو البقاء لوحدكما...

آه! جاي لا يعلم أن بقاء كاري مع لوك لوحدهما هو آخر ما تتمنى، لكن قبل أن تتفوه بكلمة عاد جاي نحو لوك.

- يجب أن نتحدث لاحقاً عن بروسليز. رغم كل شيء، يجب أن تعرف لوك أن هناك الكثير من المضاربات التي تجري بواسطة الأموال المتنقلة بين الدول. والآن بات العديد من أصحاب هذه الأموال يخشون أن تجبَر على تغيير سياستك وتستسلم لأولئك المتهورين الذين يسببون لك المتاعب.

أجاب لوك بصوت ثابت: «لا مجال لذلك مطلقاً».

ثم تابع قائلاً: «لسبب واحد، وهو أن الدولة تعتمد كلياً على الدخل الناشيء من الضرائب التي يدفعها هؤلاء الغرباء المقيمين على أرضنا، مع أن...».

عبس لوك قبل أن يكمل: «هناك بعض المسائل التي يجب النظر فيها، في ما يخص الطريقة التي كانت تدار فيها الأعمال هنا خلال فترة تولي جدّي الحكم. يجب أن يتم تنظيم هذه الأمور».

- حسناً! على الأقل، سيضع خبر زواجك حداً للشائعات الرائجة التي تقول بأنك تنوي التنازل عن الحكم لرجال المال الذين يريدون تولي السلطة في الدولة.

كاري، كعالمة اقتصادية متمكنة جداً، تعرف الوضع المالي لسانت انتاندر، لكنها لم تكن تعرف أن هناك ضغطاً داخلياً على لوك في ما يخصّ

الطريقة التي تحكم فيها البلاد.

- سُررت بمعرفتك كاثرين!

ابتسم جاي متابعاً: «يجب أن تنزلا إلى اليخت لتتناولا العشاء معي، رغم أنني أعتقد أنكما ستكونان مشغولين بالترتيبات الرسمية من الآن حتى يوم الزفاف... على فكرة، متى سيكون ذلك؟».

- في آخر الشهر، سوف نتزوج في اليوم الذي نحتفل فيه بالعيد الوطني للدولة. أنت تعرف أن العيد الخمسمئة للدولة يصادف هذه السنة، بما أن عائلتي وُهبت الحكم من البابا. يبدو لي مناسباً الاحتفال بزواجنا في اليوم نفسه.

قال جاي مستوحياً من قرار لوك: «سيبدو ذلك إشارة إلى المستقبل... أعني الأمل بأن تستمر الأسرة في الحكم لخمسمئة سنة أخرى».

لم تستطع كاري الكلام لشدّة صدمتها. عندما أخبرها لوك أنها يجب أن تتزوج به، لم تكن لديها فكرة أنه ينوي الزواج بهذه السرعة. سبق أن لمّحت لها ماريا، بأن زواجها من لوك سيتم في المستقبل بتاريخ غير محدد...

حين غادر جاي، انتفضت كاري لتحرر نفسها من الجمود الذي سببته لها الصدمة. انتظرت حتى أغلق الباب خلف جاي، عندها ابتعدت عن لوك قائلة له بعنف: «تماديت بما فيه الكفاية! لا تستطيع فعل هذا، لوك. هذا جنون! لا أحد سيصدق أن هذا الزواج ليس خدعة مدبرة... ما من شيء مشترك بيننا».

- أحقاً؟ ما معنى هذا؟

وقبل أن تتفوه بأية كلمة، شدّ لوك بإحكام على ذراعها وجذبها نحوه، محنياً رأسه فوق رأسها. بدت نظرته مفترسة وخطرة!

مرّت ثماني سنوات، لم تشعر به كاري قريباً بهذا الشكل منها. أثناء تلك السنوات أجبرت نفسها على أن تنسى المتعة الغبية غير الناضجة التي أحستها بقربه، وتتذكر بدلاً من ذلك الألم المزعج لخيبة أملها وذلها. شعرت بصلابة جسده وهو يميل نحوها، جسد مليء بالعضلات القوية...

وبعد...

بعض المشاعر... بعض الأحاسيس... بعض الذكريات يمكن أن تحفر بعمق في وعي الإنسان حيث لا شيء يستطيع محوها. لان جسدها، ولفّت عقلها غمامة من الأشواق المستحيلة. وكأن صدمة كهربائية هزّتها باعثة تياراً قوياً في كل حاسة من حواسها.

لهفة، ألم، غضب... يمكنها الشعور بها كلها... يمكنها البكاء بدموع أليمة بسبب الذكريات التي يفرضها لوك عليها، فمن غير المنصف أن يفعل هذا بها. لكن متى كان لوك منصفاً؟ متى فعل شيئاً لا يخدم مصلحته الشخصية؟ غازلها... عانقها... ثم رفضها. أخرجها من حياته كأنها لعبة ملّ اللعب بها.

- لا!

حاولت كاري الفرار وهي تشعر باهتياج شديد. لكن لوك كان أقوى منها فجذبها نحوه وعانقها...

الغيمة التي تحجب عقلها أصبحت متقدة بسبب الرعب الذي أصابها. لا يمكنها الاستسلام لهذا الشعور... رفعت يديها وشدت على صدر لوك محاولة إبعاده عنها...

فجأة، تركها لتأخذ نفساً عميقاً.

- أمر غريب! ما زلت تتصرفين كفتاة بريئة.

الطريقة التي راح ينظر فيها إليها جعلت معدة كاري تتقلص لشدة القلق. النظرة الرمادية الصلبة التي حدقت بها، بدت ثاقبة وتغلغلت حتى أعماقها.

ردّت عليه مدافعة عن نفسها: «في الواقع أنا لم أبادلك العناق. فأنت آخر رجل أرغب في معانقته... في الواقع، أنت آخر رجل أرغب فيه بأي طريقة».

- أحقاً؟

بدت نبرته ساخرة أكثر من النظرة التي يرمقها بها.

- ذاك ليس ما تقوله عيناكِ!

قال لها ذلك دون رحمة، وهو يضع يده على رقبتها ويفركها بإبهامه، ثم أنزل يده إلى كتفها.

اتقد وجه كاري بالغضب الشديد وقالت: «هذا لا يعني شيئاً. أنا...».

أبعدت كاري يده بقوة عنها.

- أنت... ماذا؟

تحدّاها لوك متابعاً: «أتتصرفين مع كل الرجال بهذه الطريقة؟ حسناً! دعيني أحذرك كاري أنه من الآن فصاعداً، وما دام زواجنا مستمراً، لن يكون هناك رجال آخرين في حياتك».

- أنت لن تجبرني على فعل أي شيء...

بدأت كاري الكلام، لكن لوك أوقفها فوراً قائلاً: «ليس أمامك خيار آخر سوى القيام بما أطلبه منك كاري».

قال ذلك بلطف، لكن نظراته لم تحمل اللطف مطلقاً، وإنما تصميماً قاسياً وعنيداً حذرها أنه يعني كل كلمة يقولها. تابع يقول: «لأنك إذا لم تفعلي، فأنت وشقيقك...».

فكرت كاري أنها لن تسمح له بتهديد أخيها، مهما كانت مشاعرها القوية الحاقدة والمشمئزة نحوه.

قالت وهي تصرّ على أسنانها: «حسناً!».

وتابعت: «كما تقول، يبدو أن لا خيار لي لوك. لكن أعدك أنني سأكرهك كل يوم، كل دقيقة، وكل لحظة أقضيها مرتبطة بك. وسأفعل ما بوسعي لأجعلك تكرهها أنت أيضاً».

- آه، زوجتي العنيدة الجذّابة...! المحبة! الحنونة! اللطيفة!

سخر منها لوك متابعاً: «أنا متأكد أن علاقتنا ستكون رائعة...».

ردّت عليه كاري بوحشية: «يا له من مزاح ثقيل!».

- ما زلت أذكر كم كنت عاطفية و... كثير من الولع...

بدت النظرة التي رمقها بها مهينة جداً، إلا أن كاري تمكنت بطريقة ما، من ابتلاع الكلمات القاسية التي تاقت إلى رشقه بها.

٣ - خطوبة أم مهزلة؟

الحفيف الناعم لستائر غرفة النوم المفتوحة النوافذ، تتبعه أشعة شمس الصباح المشرقة جعل كاري تستيقظ من نوم لم يستمر لأكثر من بضع ساعات. أمضت معظم ساعات الليل مستيقظة بسبب صراع داخلي عنيف، حيث تعاركت غريزتها لحفظ الذات مع غريزة الحماية المتأصلة في الشقيقة الكبرى تجاه شقيقها الأصغر، ما جعلها تشعر بالضياع. أخيراً، استسلمت للنوم بعد أن أنهكها التعب لكثرة التفكير. في مطلق الأحوال، لن تسمح بترك شقيقها هاري عرضة لقسوة لوك وعمله الوحشي. فجأة، تغيرت تعابير وجهها حين عادت بها الأفكار إلى المأزق الذي عذّبها طوال المساء، واستمرّ يعذبها طوال الليل.

ما من شيء يعطيها شعوراً بالارتياح إلاّ الافصاح عن سر لوك. ليتها تستطيع أن تصرّح علناً بمقدار الاحتقار الذي تحسه تجاهه، ليتذوق تماماً كيف هو الشعور بالعجز والضعف تحت سلطة شخص آخر. إنه شعور مجرّد من الكبرياء واحترام النفس... لكن، كيف يمكنها القيام بهذا، وهي تعرف مقدار السلطة التي يملكها لوك ليدمّر شقيقها الأصغر؟

لم تكن مهزلة الزواج نفسها هي التي تزعجها، فهي تعرف لوك بما يكفي لتفهم ما عناه بالزواج الذي لا يستمر لفترة طويلة. حالما يُحفظ وعد لوك لشعبه، يصل زواجها به إلى نهاية مفاجئة دون حاجة لأية تسوية. بالطبع، لن يكون زواجهما زواجاً حقيقياً، بل صورياً يتناسب مع أهداف لوك.

لكن، قد يكون الأمر مختلفاً عمّا تتوقعه، فلوك قادر على إجبارها على القيام بما يريده هو حتى لو كرهت ذلك. لكن أيمكنها السماح له مرة ثانية بأن يستغلها ويتلاعب بها لإرضاء رغباته؟

انتهت الخادمة من فتح الستائر ووقفت على مسافة من سرير كاري ثم قالت بنبرة ملؤها الاحترام: «أدعى بينيتا، وسوف أكون خادمتك. إذا كنتِ تريدين الفطور هنا في جناحك...».

لاحظت كاري أن لغتها الإنكليزية تبدو جيدة، رغم أنها متكلفة إلى حد ما.

قبل أن يستلم لوك الحكم، أصرّ على تعليم اللغة الإنكليزية في جميع مدارس سانت انتاندر كلغة رسمية ثانية. حتى بعد توليه الحكم، ظل على إصراره هذا معارضاً الرأي القديم لمجلس الوصاية الذي اعتبر أن مقرراً تعليمياً كهذا هو انفاق غير ضروري.

لكن لوك دافع عن رأيه قائلاً: «سانت انتاندر دولة صغيرة، ونتوقع أن يذهب عدد كبير من أبناء الشعب للعيش في أماكن أخرى مختلفة من العالم والعمل فيها، وعندما يريدون القيام بذلك، من الأفضل أن يكونوا مزودين بالوسائل الضرورية، لذلك يجب أن يحظوا بفرصة تعلم لغة ثانية».

سخرت كاري من نفسها لأنها أُعجبت به على موقفه هذا عندما روى لها والدها هذا الحدث. لكن في ذلك الوقت، كانت ميّالة جداً لأن تعجب بأي شيء... وبكل شيء يفعله لوك، إضافة إلى إعجابها بلوك نفسه.

- شكراً بينيتا. سيكون الفطور...

بدأت كاري بالكلام، إلا أنها توقفت فجأة حين دفع لوك الباب ودخل إلى الغرفة. نظرت إليه الخادمة، وسرعان ما احمرّت وجنتاها. رمشت بعينيها وانحنت بعصبية انحناءة صغيرة، ثم ذهبت تاركة كاري تحملق غير مرحبة به، مدركة أنها ترتدي قميص نوم بسيط وقديم.

الشيء الوحيد الذي وجدته في الحمام هو رداء من قماش المناشف الناعم الجميل، تركته البارحة على الكرسي بجانب السرير الضخم الذي تنام فيه، لكنه ليس هناك الآن... لا بد أن بينيتا أعادته إلى مكانه. لم تتوقع كاري أن ترى لوك مرتدياً قميصاً بيضاء قصيرة الكمين ضيقة وبنطلوناً مناسباً للعدو مع حذاء رياضي.

تذكرت أنه يحرص دائماً على القيام بنشاطات رياضية صحيّة، إذ يتضمن

جناحه الخاص بركة سباحة داخلية خاصة به، كما أنه كان بطلاً في رياضة التزلج بامتياز، وبطل أوكسفورد للسباق البحري. ما زالت كاري تذكر جيداً منظر الحشد المتحمس له على متن اليخت المخصص للسباق، كما تذكر أيضاً أنه مارس رياضة البولو لفترة لا بأس بها أثناء وجوده في الجامعة في إنكلترا.

برغم حرصه الدائم على المحافظة على لياقته الجسدية، فالطبيعة الأم هي التي أعطته هذه القوة الفاتنة وهذا الجسم الرشيق الرائع. هذه القوة نفسها هي المسؤولة عن الفوضى والشوق والاضطراب التي أثارها لوك في حواسها.

لو ارتدى لوك أي نوع من الثياب، ولو وُضع في أي محيط، مهما كان وضيعاً، فهو يخطف أنفاس النساء.

أما هي، فلن تتأثر مطلقاً بهذا التشامخ المتكبر الذي يميزه، ولن يتوقف قلبها عن الخفقان لمجرد التفكير به وهو مرتدٍ بذلة نظامية تدل على مركزه كقائد للقوات العسكرية. بل على العكس، فهي لن تهتم لرؤيته في مطلق الأحوال.

ذهبت إلى غير رجعة تلك الأيام، حين كانت تخالجها مشاعر جياشة حادّة لرؤية لوك مرتدياً حذاء طويل الساقين لامعاً مع بنطلون ضيق أبيض اللون وسترة من اللون الأزرق الصارخ، هي عبارة عن زي عسكري تزينه ياردات من الشريط المجدول المصنوع من الذهب.

أمّا الآن، فلا شيء يعجبها فيه، حتى صوته حين قال لها بحدة: «خطوبتنا ستعلن عند ظهر اليوم في ساحة القصر، تزامناً مع إعلان تاريخ زواجنا... أوه! كدت أنسى. ابن عمي جاي دعانا لتمضية هذا المساء في اليخت، فهو سيقيم حفلة خاصة بمناسبة خطوبتنا. سوف نعلن للصحافة أننا لن نحتمل فترة خطوبة طويلة بسبب اضطرام الحب من جديد بيننا».

- إذاً، ما زلت تعتزم المضي بهذه المهزلة؟

اعترضته كاري بعنف متابعة: «اعتقدت أن ليلة من التفكير كافية لتظهر لك...».

توقفت كاري عن الكلام المتغطرس عندما اقترب لوك من السرير.

- لم تتغيري أبداً، كاثرين؟ ما زلت تحبين اللعب بألعاب خطرة. عندما كنت مراهقة بدا واضحاً ما تمنيت تحقيقه، لكنني لا أفهم الآن ماذا تتوقعين أن تكسبي بمضايقتي. طبعاً، إلاّ إذا...

أثناء توقفه عن الكلام، أحسّت كاري بوجهها يتقد ناراً.

- أنت حقير لوك!

رمته بقولها هذا بغضب مكررة: «أنت حقير بكل ما للكلمة من معنى».

رغم أنه سمع تعليقها بلا مبالاة، إلا أنها لاحظت ومضة مختلفة في عينيه.

- أنا واثق أن لديك ثياباً مناسبة لترتديها؟ ربما بذلة عمل رسمية، نظراً لنوع عملك. أتعرفين كاري؟ يجب أن أقر أنني دُهشت حين علمت أنك نلت درجة امتياز، نظراً لطريقة العيش التي اتبعتها في الجامعة. يبدو جلياً تميزك في الاقتصاد كأبيك، لكن بالنظر إلى أسلوب مقالاتك، أظن أنكِ تتعاطفين مع أفكار بعض الشباب المتهورين من أفراد شعبي. على أي حال، لطالما كنتِ دائماً شديدة الانفعال.

- لا، لوك!

صحّحت له كاري بسخرية: «ما كنت عليه هو فتاة شابة غبية وسريعة التأثر. لكن لحسن حظي أن لديّ حسّاً جيداً لأدرك إلى أي مدى كانت علاقتنا فارغة و... تافهة».

راحت كاري تراقبه حين رقّ فمه. في الواقع، تعجبت لأنه يعرف الكثير عنها، لكن من المحتمل أن والدها هو الذي أعلمه بكل ما تفعله.

- انتبهي لكلامك كاري!

حذّرها لوك بنعومة متابعاً: «وإلاّ فإني قد أضطر إلى إظهار أوجه جديدة لعلاقتنا، حتى إنك...».

- أبداً! إطلاقاً!

رفضت كاري ذلك بشدة وتابعت محتجة: «من المحتمل أنني كنت غبية في ما مضى... لكنني شفيت بسرعة من ذلك الرأي الخاطىء، لوك».

- عندما غادرت سانت اتاندر إلى الجامعة، كنت متلهفة جداً للاستسلام لرجال آخرين.

- كيف تتجرأ على الافتراض والتكلم بنفاق عن حياتي الخاصة؟ ثم... أتراك نسيت أن المجلات اللامعة تنشر في كل حين قصة جديدة عن آخر جزء من مغامراتك العاطفية...؟ عارضات أزياء، ممثلات، مغنيات...

- الأشخاص الذين تتكلمين عنهم هم غرباء يقيمون على أرضي ويساعدون في تمويل الدولة. الخطأ ليس خطأي إذا تعمّدت صحافة المشاهير الإساءة في تفسير هذه المسألة. بالإضافة إلى ذلك فهذا الأمر لا...

- يعنيني؟

أكملت كارين عنه مضيفة: «لا! ليس من شأني. كما أن ماضيّ الخاص ليس من شأنك».

قطعاً! هي لا تريده أن يعرف أن إصرارها العنيد على قراءة كل كلمة تنشر عنه وتصف الجمال الرائع لرفيقته ولطفه واهتمامه بها، كان هدفه تقوية نفسها وإقناعها بأنها في حال أفضل من دونه.

أما بالنسبة لتعليقه على ثيابها... أجل لديها بذلة عملية بسيطة في حقيبتها.

- قد لا يكون ماضيك الخاص من شأني. لكن حياتك الحالية والمقبلة ليست كذلك. أحذّرك الآن كاري...

- تحذّرني! أتعتقد أنك تستطيع التصرف كيفما شئت في هذه... هذه المهزلة السخيفة التي تتعلق بدولتك لوك؟

بدأت كاري كلامها بعنف، رافعة نفسها في السرير بطريقة غاضبة واضطراب مفاجىء، متابعة: «لكن، ما من طريقة...».

في منتصف إيمائها النشيط لتأكيد قصدها، انتبهت إلى أن الغطاء ينزلق عن جسمها. بسرعة، وبحركة خفيفة غاصت في السرير من جديد لتغطي جسمها، لكن لوك سبقها والتقط الغطاء. أصابعه السمراء النحيلة ذات الأظافر النظيفة التفت حول جانبي الغطاء، وانتزعتها بقوة عنها.

نظرته الرمادية المحدقة بها جعلت كاري تتسمر دون حراك. أحسّت بلون وجهها يتغير، ويكاد يحترق بسبب الانفعالات الشديدة. قميص النوم التي ترتديها من دون أكمام وهي محفورة عند القبة، ما يكشف عن بشرة أعلى

صدرها.

- إذاً، الفتاة التي أتذكرها تنام مرتدية قميصاً للنوم عليها صور لجراء كلاب وأقواس.

أجابت كاري بحدية: «والمرأة التي تراها الآن لم تتوقع أن يزورها أحد في غرفة نومها لترتدي قميصاً أكثر أناقة».

على الرغم من جوابها الحاد أحست بدفء حرارة الشمس يجتاح جسمها.

- يبدو لي أنك ترتدين ثوب سباحة محتشماً عندما تتشمسين.

الآن أحسّت كاري أن وجهها يحترق حقاً! كيف استطاع ملاحظة ذلك، إنه لم يلقِ حتى نظرة خاطفة على جسمها! ظل محدقاً في وجهها كما لو أن جسدها لا يستحق منه نظرة مختصرة.

- أمضيت عطلتي الأخيرة في أميركا، وكنت أشعر بالارتياح أكثر في ثوب سباحة محتشم في المنتجع الذي نزلت فيه.

- إذاً، رفيقك لم يكن رجلاً متطلباً كما يبدو!

لمعت عينا كاري بإشارات الثورة، وأعلنت بقوة: «صادف أن كان رفيقي «رفيقة». ولا أظن أن من شأنك إذا لم يكن رفيقاً».

لمَ أحسّت بحاجة قوية لتهبّ دفاعاً عن عفتها؟

تجهمت كاري متعجبة من نفسها. لم يعد يهمها ما يفكر به لوك عنها. وعلاوة على ذلك، كما ذكرته منذ قليل، هو لم يعش كراهب، أليس كذلك؟ على الأقل لم يكن كذلك إذا صدّقت تقارير صحافة المشاهير.

شدّت الغطاء بقوة وغضب في محاولة لسحبه إلى الأعلى، إلا أن لوك منعها من ذلك، لذا لجأت كاري إلى الغطاء الوحيد المتبقي لها وهو احتقارها الشديد اللاذع.

- أعتقد أنك تحب اختلاس النظر كمعظم الرجال، ولا شك أن هذه غريزة دنيئة. لكنني أتعجب لسماحك لهذه الغريزة بالظهور علناً. رغم كل شيء، أنت بارع في إخفاء رغبتك هذه عن الآخرين، محاولاً دوماً رفع نفسك إلى مستوى عالٍ جداً. أليس كذلك يا سمو الأمير؟

ألقى لوك عليها نظرة دقيقة، فشعرت كاري بالسرور لاكتشافها أن كلماتها أثرت فيه. لاحظت لمحة من الاضطراب والتجهم في عينيه اللتين ظهر فيهما التوهج على الفور. جاء انتقامه سريعاً وبدون رحمة إذ راح يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها، ما جعل وجهها يتقد غيظاً.

فجأة ودون ترقب، عبس تاركاً الغطاء من يده، ليرفع طرف كم سترته ويلقي نظرة على الساعة الذهبية الأنيقة في يده.

- لديك ساعتان لتتناولي الفطور وتجهزي نفسك. أنا سأجري بعض المكالمات الهاتفية.

حدّقت إليه كاري فاغرة فمها، مأخوذة بتغيّر تصرفه غير المتوقع، وانتبهت إلى أنها لم تستغل الفرصة وتغطي جسمها إلا بعد أن استدار لوك وابتعد عنها. فاحمرّت وجنتاها خجلاً وسارعت إلى سحب الغطاء نحوها.

- يجب أن نلتقي في غرفة الاستقبال عند الحادية عشرة والنصف.

قال لوك ذلك ببرودة متابعاً: «مستشارتي الصحافية تحضّر الاعلان لخطوبتنا».

تنهدت كاري بارتياح عندما تأملت صورتها المنعكسة في المرايا الكبيرة الممتدة من الأرض حتى السقف في غرفة الملابس في جناحها. علت شفتيها ابتسامة عريضة جعلتها تبدو كولد صغير سيء السلوك. البذلة الكلاسيكية الرسمية التي أحضرتها ملائمة جداً لهذه المناسبة، لهذا السبب ما زالت هذه البذلة معلقة في خزانتها، فيما ارتدت بنطلوناً من الجينز ضيقاً باهت اللون لقدمه، وقميصاً قصيرة عند الخصر تُظهر جزءاً من بشرتها النظيفة القشدية اللون.

الطبقة الكثيفة من الكحل الأسود فوق رموشها، مع أحمر الشفاه ذي اللون القرنفلي الباهت، ومثبّت الشعر الذي يكفي للصق ورق جدران غرفة كاملة، أخرجت كاري من أناقتها الطبيعية وحولتها إلى نسخة مطابقة للعبة حديثة متمايلة ومتقلبة رائجة كثيراً هذه الأيام.

إنها الحادية عشرة وخمس وعشرين دقيقة، ها قد أصبحت جاهزة في الوقت المناسب تماماً.

ابتسمت ابتسامة عريضة، ثم خرجت من باب جناحها الخاص إلى الممر.

الصالة الخضراء هي إحدى غرف القصر التي لا يغلب عليها الطابع الرسمي. مع ذلك فإن أناقتها توفر متعة للنظر، فهي مزينة بالخشب المذهب والجص. فرشت أرضها بالسجاد المصنوع في مصنع الأوبيسون الشهير، ليتلاءم خصيصاً مع السقف المصنوع من الجص، وهي تحتوي على زوج من الأبواب الفرنسية المزدوجة التي تفتح على شرفة مطلّة على الجنائن الخاصة المسيّجة بأسوار القصر.

في المناسبات الرسمية يقف الخدم ببزاتهم المميزة على جوانب هذه الأبواب المزدوجة كما في باقي غرف القصر الرسمية.

شعرت كاري بالمتعة وهي تتوقع ردة فعل لوك على مظهرها حين يراها. من المحتمل أن يكون تصرفها صبيانياً سخيفاً، لكنها الطريقة الوحيدة التي تملكها لإظهار شعورها حيال ما يفعله بها. الطريقة الوحيدة لتثور عليه دون أن تؤذي شقيقها.

كادت تصل إلى أسفل الدرج المؤدي إلى الردهة ذات الشكل البيضاوي، عندما دُفِعت الأبواب المزدوجة للصالة، ودخل منها لوك، ليتوقف فجأة حين رآها.

تسمّر كل منهما في مكانه للحظات، ورأت كاري الغضب واضحاً في عيني لوك، فسرت فيها ارتجافة خفيفة من النصر.

شعرت كما لو أن عاصفة تقترب ورعشة ناعمة تنبه جسدها، فأحسّت برائحة كبريت في الهواء، وبتوتر وخطر مؤكدين محدقين بها، كما سرت قشعريرة في رقبتها.

- أهذا نوع من المزاح؟

طريقة لوك في طرح السؤال جاءت بنبرة حادة ما رفع مباشرة حدة التوتر عدة درجات أخرى.

- عذراً!

تجاهلت كاري قصده وهي تجيبه متظاهرة بالبراءة. لكن شرارة المعركة ظهرت متقدة في عينيها.

ردّ لوك بحدّة: «تعرفين تماماً ما أعني... ثيابك..!».

أوقفته كاري بعنف: «هذه ثيابي، وهذه أنا. لا أنوي تغيير أيّ منهما ليلائمك. يمكنك القبول بي هكذا أو رفضي. أنت من اختار أن يبتزني ويستدرجني إلى هذه الخطوبة وهذا الزواج البغيض. لكن ما أرتديه هو خياري وحدي. أوه! وما زلت أفضل «كاري» على كاثرين. صحيح أنه اسم غير رسمي لكنه يريحني».

لاحظت كاري تغيّراً مفاجئاً في تعابير وجهه.

- رأيت صورتك حين قرأت مقالاتك كاري، وأعرف تماماً أن هذا ليس مظهرك الحقيقي. فشعرك...

عبست كاري مستغربة... رأى مقالاتها... وقرأها! شيء ما خطير وغير مستحب يحاول إحياء فكرة مؤلمة في داخلها. لكنها أخمدته بقوة.

نظرت إليه نظرة تحدٍ، ورفعت رأسها قائلة: «ألا يعجبك؟ هذه التسريحة هي آخر صرعة في الموضة».

- يبدو كأنك أفرغت علبة من لاصق ورق الجدران عليه.

ردّ عليها لوك بتصلّب متابعاً: «وبالتأكيد لن تخرجي إلى شعبي بهذا المظهر. سيعتقدون أنهم مهانون... محتقرون...».

- لوك... ماذا تفعل؟ اتركني لوك!

صرخت كاري حين مشى فجأة نحوها، والتقط يدها ثم أدارها إلى الخلف، وجرّها صعوداً على الدرج، في حين راحت هي تقاوم.

- إذا لم تسكتي كاثرين سوف أحملك.

توقفت عن المقاومة قائلة: «أنت...».

حاولت القول «أنت لا تجرؤ»، لكن نظرته جعلتها تبتلع كلماتها.

وصلا إلى جناحها الخاص وهي تلهث من التعب. دفع الباب بقوة، وجرّها إلى الداخل، ثم أقفل الباب وراءه وهو ما يزال يمسك يدها.

- أنتِ تفقدينني صوابي، كاري.

قال لها ذلك ضاغطاً شفتيه بغضب.

- حسناً! هذه مشكلتك وليست مشكلتي. أنا لا...

صدرت عنها شهقة صغيرة حين جذبها لوك نحوه، ثم غمرها بذراعيه وعانقها بشدة، عانقها بغضب ووحشية، ما أشعل فيها الغضب المكبوت.

لم تختبر كاري مثل هذه المعانقة من قبل، فهما يتعاركان للتحكم ببعضهما البعض ويشعران بكراهية متبادلة وامتعاض شديد. شعرت بغضب عنيف أثر فيها بقدر ما يؤثر فيها قرب لوك منها.

شعرت بقلبها يدق بسرعة، فيما تدفق الأدرينالين إلى جسمها كله. هي لا تود الهرب بل المحاربة! ما أحسته في داخلها أعلمها أن قرارها سليم. راودها إحساس شديد بالغضب، وإلحاح قوي يتنكر للخطر.

لا! بالطبع هما ليسا منجذبين إلى بعضهما البعض... بطريقة ما، انزلقت يده وضغطت على عمودها الفقري، في حين وضع يده الثانية على رقبتها من الخلف.

تصلب جسده، لكن كاري اقتربت منه أكثر، وراح الغضب الذي غذّى رد فعلها الانفعالي يتحول على نحو خطر إلى نوع مختلف جداً من الشغف.

قفزت مبتعدة عنه، وقالت بغضب: «ألديك فكرة عن مدى احتقاري لك واشمئزازي منك؟».

- آه! هذا ما كنتِ تظهرينه لتوك، أليس كذلك؟

لاحظت كاري أن صدره ينتفض بإيقاع أسرع بقليل ممّا يجب أن يكون عليه، فلم تشعر بالارتياح لذلك، بل شعرت بالاشمئزاز.

نعم الاشمئزاز... والصدمة لأنها تأثرت، وسمحت لنفسها بالاستجابة له.

- لديك نصف ساعة!

سمعته يقول لها بشراسة، متابعاً: «إما أن تغيّري مظهرك بنفسك أو أغيره أنا. ولا تعتقدي أنني لا أعني ما أقول، كاري. إذا أجبرتني على تغيير مظهرك بنفسي، أعدك أنه لن يعجبك».

ابتعدت كاري عنه محاولة ألاّ تخدع نفسها بما يقوله، فهي تعي أنه لا يمزح.

دخلت كاري إلى غرفة الحمام، خلعت الجينز والقميص وأزالت الزينة عن وجهها، ثم حاولت بجهد تسريح شعرها.

أحسّت بيديها ترتجفان حين أعادت لمسة خفيفة من ظلال العيون والكحل. بدت سعيدة لأن شعرها عاد إلى طبيعته.

ألقت نظرة سريعة على ساعتها بانفعال شديد... مضت عشر دقائق! لم تعد بحاجة لأكثر من عشر دقائق أخرى لتلبس بذلتها، ثم... بذلتها...!

تجمدت كاري في مكانها حين تذكرت أن بذلتها ما زالت معلقة في خزانة الثياب، خارج الباب المقفل لغرفة الحمام، وأن لوك ينتظر في الناحية الثانية للباب. بدأت تلوك شفتها السفلى بعصبية، ثم أدركت أنها تضيّع الوقت. التقطت منشفة، لفّتها حول جسمها وفتحت باب الحمام قليلاً، وأخرجت رأسها منه.

كان لوك يقف مكتفاً يديه ومستنداً إلى الباب الخارجي للجناح.

- هل أنت جاهزة؟

هزّت كاري رأسها قائلة: «أريد بذلتي».

- أين هي؟

- في الخزانة.

أجابت بذلك وهي تراقبه بذهول لأنه بدلاً من أن يطلب منها الخروج لأخذها بنفسها، مشى مسرعاً نحو الخزانة، ففتحها وأخرج البذلة منها.

سألها: «أهذه هي؟».

أومأت برأسها بصمت، وشعرت بالتوتر حين اقترب نحوها. عندما أخذت البذلة من يده حذّرها لوك قائلاً: «خمس دقائق!».

فجأة ومن دون سبب، بدأت يداها ترتجفان بقوة، حتى إنها أضاعت عشر ثوانٍ قيّمة وهي تحاول إقفال السّحاب. لماذا بحق السماء تشعر بالارتعاش والتوتر في داخلها؟ بالتأكيد، السبب ليس عناق لوك لها!

- انتهى الوقت.

شهقت كاري حين جذب لوك باب الحمام، وألقى نظرة صامتة وشاملة عليها.

حذرته كاري وهي تتجاوزه خارجة إلى الغرفة: «إما هذه أو بنطلون الجينز».

- انتظري لحظة!

راقبته كاري بحذر... سرت موجة باردة من الإحساس المقيت في داخلها حين أخرج لوك علبة مجوهرات جلدية من جيبه.

قال لها ببرودة: «سوف تحتاجين إلى هذا».

عرفت كاري ماذا تخبيء العلبة. رغم كل شيء، ما زالت تذكر المرة الأولى التي رأت فيها خاتم الخطوبة التقليدي الخاص بعائلة دي أوربينو. يومها شهقت وفتحت فمها غير مصدقة حين حدّقت إلى حجر الزمرد الكبير المطوق بحبات الماس اللامعة. لم ترَ في حياتها حلية بمثل جمال وروعة هذا الخاتم!

آنذاك، كانت كاري مراهقة، تحلم بالشعور الجميل الذي يخالج الفتاة التي سيضع لوك خاتماً كهذا في إصبعها، معلناً للعالم كله عن حبّه لها ووعده بالزواج منها.

الآن، رأت الخاتم بفلسفة مختلفة، فبرودة الخطوبة التي يفرضها عليها لوك انسجمت مع الإشراق الجليدي للماس. تماماً مثلما تناسب ثقل الخاتم مع ثقل الظلم الذي تشعر أنها ترزح تحته.

- أنتِ ترتجفين...

لسعتها كلماته الساخرة الباردة.

- بالطبع! أرتجف من الغضب.

ردّت كاري عليه بذلك متابعة: «فما تفعله يستحق الازدراء».

ردّ عليها لوك ببرودة: «لا! فما أفعله هو الذي يجب عليّ فعله لمصلحة شعبي. لكن علاوة على ذلك، أنتِ دائماً متهورة وعاطفية جداً لتميزي أنه في بعض الأحيان يجب على المرء أن يضع واجباته فوق رغباته».

عبست كاري وهي تفكر بكلماته، وسرعان ما أعلن قائلاً: «إنها الثانية عشرة».

على الرغم من شدة انزعاجها، بدا الخاتم لائقاً على يدها تماماً، لكنها

أحست بوجوده القاسي فقط بعد خمس دقائق، وذلك عندما شبك لوك يدها في يده ممسكاً بها بطريقة مَلَكية ومتملّكة على حدٍ سواء. وقف منتظراً أن يضمحل الصوت الصاخب للأبواق في الهواء الدافىء، قبل أن يرشدها إلى الخارج حيث الشمس المشرقة ووميض آلات التصوير الخاصة بالمصورين الفوتوغرافيين بانتظارهما...

إلى الخلف من الجمع المؤلف من رجال لوك، وقفت جوقة صاخبة من الشبان الغاضبين الذين يرفعون الشعارات ويلوحون بالرايات مطالبين بإعطائهم الحق لإبعاد أصحاب رؤوس الأموال الغرباء عن البلاد.

حاولت كاري بجهد حماية نفسها من حقيقة ما يحصل بالتركيز على ما ينشده هؤلاء الشبان، بدلا من الاستماع إلى الخطابات المتأنقة المتعلقة بالمستقبل الزوجي السعيد المفترض بينها وبين لوك.

تطلّب الأمر صوتاً آخر للأبواق ليعيد انتباه كاري إلى لوك، لكنها لم تكن مستعدة له حين نظر إليها وأخذ يدها اليسرى ثم قبلها محدقاً إلى وجهها... ثم عانقها ببطء.

سادت حالة من التصفيق والتهليل في الحشد ومضت آلات التصوير في سرعة مضاعفة. أحست كاري كما لو أنها تريد العويل كطفل مجروح. يجب ألا يحدث هذا! هذا انتهاك لكل شيء... لحظة كهذه يجب أن تكون...

ابتعد لوك عنها واضعاً يده تحت مرفقها، ثم قال لها بهدوء: «يجب أن نمشي بين الناس ليشاركونا فرحتنا، ويهنئوننا شخصياً».

تاقت كاري لإعطاء رد تهكمي سريع، لكنها أحسّت بأصابع تضغط على ذراعها من خلال السترة، محذرة من أي تصرف خاطىء.

- سمو الأمير، أعتقد أن من الأفضل أن تعود إلى القصر.

نصحه أحد الرجال الكبار السن الصارمين، وهو رجل تعرّفت عليه كاري كواحد من مجموعة الرجال الذين أرشدوا لوك ونصحوه خلال مدة الوصاية على العرش.

- جدك ما كان ليسمح بهذا التمرد. أنصحك أن تعاقب بسرعة وحزم هؤلاء الشبّان الذين يستمرون بمطالبهم السخيفة، كما أنصح بمنع أي نوع

من المظاهرات العلنية. ربما من الأفضل فرض حظر للتجول. أنت تعرف آرائي في ذلك.

- وأنت جيرالدو تعرف آرائي أنا.

ردّ لوك عليه بهدوء مبتسماً لتلطيف الجو شبه العنيف، ومتابعاً: «بالطبع، أنا أقدّر نصيحتك وقلقك، لكن الشعب له الحق بالتعبير عن شعوره و...».

- إذا استمروا في ذلك فكل ما ناضل جدّك لتأسيسه في دولتنا سيدمّر. إذا ما تخلينا عن السرية المصرفية...

راحت أصابع لوك تلتف حول ذراع كاري، وأحسّت أن قبضته تشتد كرد فعل على الانفجار الغاضب للرجل العجوز. لكن حين استدارت ونظرت إليه لاحظت أن تعابير وجهه تبدو هادئة وغير معبرة.

- أنا أحترم وأوقّر كل ما فعله جدّي دون شك. لكن الزمن تغيّر جيرالدو ونحن بحاجة لنتغير معه. حتى جيراننا في سويسرا يتعرضون للضغط من قبل الاتحاد الأوروبي لتغيير قانون السرية المصرفية لديهم. الشهر الماضي عندما كنت في اللوكسمبورغ، سُئِلت بعض الأسئلة الدقيقة عن الموضوع. يمكننا مناقشة هذا لاحقاً، لكن الآن شعبي يتمنى أن يرى عروسي العتيدة كي يهنئني بزواجي القريب، وأنا لا أنوي أن أخذله.

اعتقدت كاري للحظة أن الرجل الكبير سيجدد اعتراضه، مستنتجة ذلك من التوهج الباهت للألوان الذي يصبغ عظام وجنتيه النحيلتين. لابد إنه يريد ذلك، لكن بدا واضحاً أن شيئاً ما في تعابير لوك منعه من المتابعة.

- حسناً! برغم كل شيء، من حقك إصدار هذا القرار. فأنت حاكم سانت انتاندر...

وافقه لوك بلطف قائلاً: «بالفعل!».

- لكن على الأقل، اسمح لي بصرف هؤلاء الدهماء...

- دعهم جيرالدو. برغم كل شيء، لديهم الحق في التعبير عن آرائهم.

- نعم. لكن في أحد الاجتماعات الشهرية الثلاث، لا في مناسبة علنية كهذه.

بالكاد ابتسم لوك وهزّ رأسه قبل أن يستدير ليرشد كاري إلى الساحة.

أقرّت كاري أن تسامح لوك وتساهله الواضح نحو المتظاهرين قد فاجأها. هل هو حقاً منفتح للاستماع إلى شكواهم كما يقول، أم إن «تسامحه» هو ببساطة حيلة تكتيكية؟

توترت كاري أثناء سيرهما بين الحرّاس وذلك حين قدموا سلاحهم. كل شيء بدا مبالغاً فيه وغير ضروري بالنسبة لها. بدوا مدربين جيداً لإتقان عملهم، وهم يرتدون بذات جيش المدينة. في مكان عميق في داخلها، جزء صغير من تمردها لاحظ تفجّر ثورة من التصفيق الحاد أثناء دورانهما حول الساحة المغمورة بأشعة الشمس.

في الواقع، ذُعرت كاري حين أحسّت بدموع ساذجة محملة بالعاطفة تخز عينيها، وذلك عندما مدّ الناس أيديهم للمسها؛ أولاد بوجوه مرفوعة سعيدة ومتشوقة، نساء متقدمات في السن ذوات بشرة مجعدة ينظرن بإعجاب إلى لوك، في حين أحنى أزواجهن رؤوسهم باحترام.

- فليحمك الله! وليعطك صبياناً رائعين، وبناتاً جميلات!

سمعت كاري النساء يتمتمن لها بذلك.

سمعت رجلاً يضحك ضحكة خافتة ويقول لزوجته: «أميرنا هو الذي سيهبها كل ذلك».

وشعرت بوجهها يتقد بسخافة.

في آخر الساحة، وقف صفّ من الفرسان دون حراك على ظهور الجياد، مشكلين حاجزاً أمام المتظاهرين. مرّ لوك وكاري من جوانب الساحة وأصبحا الآن قريبين منهم.

كعالمة اقتصادية مطلعة باعتدال على الوضع المتعلق بالدول التي تمثل ملاذاً جزئياً للأغنياء، عبست كاري حين قرأت بعض الرسائل التي تحملها إعلانات المتظاهرين. لكن قبل أن تتفوه بكلمة، علا صوت أحدهم بانفجار مفاجيء، يحمل ازدراء واحتجاجاً حين اقتربا منهم.

- أما قلت إن شعبك يريد رؤيتك متزوجاً؟

لم تستطع مقاومة سخريتها من لوك، بما أن المتظاهرين صرّحوا

بمشاعرهم. تمكنت من رؤية بوادر الشجب والاستنكار على وجوه بعض المتفرجين التقليديين، الذين بدأوا يعترضون على الإهانات التي يوجهها المتظاهرون للوك. رمى بعض الشبان الفواكه الفاسدة باتجاههما، إلا أنها قصرت عن الهدف وأصابت الحجارة اللوحية النظيفة محدثة بقعاً عليها. شدّ أحد الجياد على الشكيمة وبدأ يثب، في حين اندفعت مجموعة صغيرة من المتظاهرين أمام الحشد ومباشرة خلف الجياد، وراحت تضج ساخرة من لوك وكاري.

لكن لوك تجاهلهم بكبرياء.

لاحظت كاري أن أحد المتظاهرين يحمل طفلاً صغيراً، ثم يضعه على الأرض ليرمي شيئاً ما إلى الساحة، ثم رأت بطرف عينها الطفل يحشر نفسه تحت الشريط... أصاب ذلك الشيء المندفع بقوة أحد الجياد، ما جعله يذعر ويثب في الوقت الذي كان الطفل الصغير يدرج تحت حوافره المرتفعة.

شهقت كاري دون تفكير، وبحركة آلية وضعت يدها على فمها أسوة بعدد كبير من أفراد الحشد الذي رأى ذلك.

فجأة تركها لوك وركض مسرعاً نحو الطفل ساحباً إيّاه بخفة إلى الأمان، في الوقت الذي أنزل الحصان حوافره محدثاً ضجة كبيرة.

زفر الناس بارتياح، وأجهشت امرأة بالبكاء بصوت عالٍ. أما والد الطفل فبدا شاحب الوجه وهو يقف ملتصقاً بالشريط، حين مشى لوك نحوه حاملاً الطفل.

أحست كاري بصمت الجماهير أثناء مراقبتها التواصل الصامت بين الرجلين. لا أحد ممن شاهدوا ما حدث يمكنه الشك بأن لوك هو من أنقذ حياة الطفل، مجازفاً بحياته هو نفسه.

خلافاً لرغبتها، شعرت كاري بعقدة في حنجرتها. مع هذه الإيماءة الوحيدة لإنقاذ الطفل وتسليمه لوالده، أظهر لوك أفضل ما لديه عن دوره الأبوي كحاكم، وأظهر أنه عادل، ومهتم وقويّ بما يكفي ليحمي من هو أضعف منه. هذه الحادثة ساعدته ليهزم ويسكت من يحطّ من قدره.

هتف شخص ما من بين الجماهير كاسراً الهدوء المهيب، وسرعان ما هتف الجميع، إلى حد أنه في لحظات، باتت الساحة كلها تضج بإعجاب وموافقة الجميع.

٤ - امتنان أم انتقام؟

عبست كاري وهي تنظر حولها؛ سريرها، الكرسي، الطاولة وحتى الأرض مغطاة كلها بالصناديق وأكياس الثياب التي تبدو غالية الثمن. بينما وقفت بينيتا، الخادمة الشابة التي سبقتها إلى الغرفة، بين هذه الأكياس وقد بدت مبتهجة مذهولة.

- ماذا يحدث بحق السماء؟

سألت كاري، وتابعت: «ما كل هذه الأغراض؟ من أين أتت؟ ماذا يجري؟».

- إنها تعليمات سموّه.

شرحت لها بينيتا حابسة أنفاسها: «طلب إرسال حقيبة ثياب فخمة لك من كان».

ردّت كاري وقد ظهرت ومضة غضب في عينيها: «آه! هل فعل ذلك حقاً؟».

تنهدت الخادمة بسعادة قائلة: «سوف يسود الابتهاج في دور تصميم الأزياء. سيبتهجون لمعرفتهم بوجود أميرة جديدة لإلباسها...».

فكرت كاري باشمئزاز أنهم سيبتهجون أكثر بسبب كلفة ملابسها. عندما اقتربت أكثر من السرير أمكنها رؤية اسم المصمم مطبوع بتحفظ على بعض الأكياس.

كيف تجرأ لوك على التصرف باستبداد وتكبر. إذا أرادت ثياباً جديدة فهي قادرة تماماً على انتقاء ملابسها ودفع ثمنها. بدأت تجمع بعض الأكياس بشراسة، وتحملها إلى الباب.

أخبرت الخادمة بحدّة: «يجب أن تعاد هذه الأغراض إلى كان مباشرة».

www.elromancia.com

لو أن الظروف مختلفة لأمكن لنظرة خيبة الأمل التي بدت على وجه الفتاة أن تسلي كاري، لكن الآن هي غاضبة جداً ولا مجال للتسلية.

- لكن... أرجوك، لا يمكنك فعل هذا. الأمير أمر بذلك بنفسه.

زمّت كاري شفتيها وأعلنت دون تردد: «سموه، يستطيع أن يأمر شعبه، ويمكنه حتى أن يأمر أصحاب المحلات في كان، لكنه لا يستطيع أن يأمرني أبداً. كل هذا... كل شيء يجب أن يعاد... حالاً».

تجهم وجه الخادمة وعلاه الارتباك وهي تقول: «لكن الليلة سيقام حفل كبير على يخت السيد جاي فيتز كلينبرغ، وليس لديك ثوب مناسب ترتدينه. السيدات الأخريات سوف يرتدين ثياباً جميلة ما عداك. أنت ستكونين العروس العتيدة لسموّه، وليس مستحباً أن يكن أنيقات أكثر منك».

ظهر الغضب والارتباك جليين في صوتها، وتابعت: «ابنة عمي تخدم في ڤيلا تملكها الممثلة الأميركية غينا بالو، وقد أخبرتني أن السيدة بالو سوف ترتدي ثوباً جديداً صُمّم خصيصاً لها! أجل... والسيدات الأخريات سيرتدين ثياباً أنيقة جداً. السيّد جاي فتز كلينبرغ لديه دائماً سيدات جميلات كثيرات على يخته. وكلهن شخصيات مشهورة يتمتعن بجمال كبير، أتين ليعشن في سانت اتاندر».

أعلنت كاري دون تردد: «معي ثوب من الكتان، سوف أرتديه».

بحركة مسرحية مشت الخادمة متشاخمة إلى غرفة الملابس وعادت بثوب كاري.

بدأت كلامها بازدراء: «أتعنين هذا...؟».

- بالفعل أعني هذا.

أكدت كاري متابعة: «و...».

توقفت حين فُتح باب غرفة نومها، ودخلت امرأة كبيرة بالسن طويلة القامة بغيضة، وعلى جانبيها تحوم مرافقتان غاضبتان. الكونتيسة دوغر، جدة ماريا!

رافضة أن تروّع بالنظرة القاسية التي ستتلقاها، رفعت كاري رأسها والتقت نظراتها الباردة بنظرات الكونتيسة المتعجرفة.

بمجرد حركة من حاجبي الكونتيسة جعلت الخوف يخترق كيان خادمة كاري.

- ارحلي!

أمرتها ببرودة ثم تجاهلتها واستدارت لتأمر مرافقتيها بالخروج من الغرفة مع خادمة كاري.

- إذاً، هذا صحيح!

بدأت الكونتيسة كلامها من دون تمهيد، وتابعت: «تملكين الوقاحة لتعودي إلى سانت اتاندر! الأسوأ من ذلك، أنك أقنعت لوك بالموافقة على مهزلة الخطوبة هذه. فعلت الصواب بعودتي من فلورنس قبل الموعد المحدد. لوك سيتزوج ماريا...».

- لسوء الحظ، إنه لا يستطيع الزواج بماريا... إلاّ إذا اعتزمت الزواج من رجلين معاً!

قالت كاري ذلك بلطف متابعة: «كما ترين! ماريا هي الآن متزوجة من شقيقي».

آه! ما أمتع رؤية تعابير الكونتيسة؛ حمل وجهها تعابير الصدمة، عدم التصديق، المرارة والغضب الشديد. اعترفت كاري أن ما من تعبير يمكن أن ينافس الاشمئزاز الواضح الذي تشعر به الكونتيسة تجاه كاري.

- أنت تكذبين...!

هزّت كاري كتفيها قائلة: «إذا كان هذا ما تتمنينه، فأنتِ حرّة. أتعرفين شيئاً؟ أنا لست متفاجئة لأن ماريا غير قادرة على إخبارك بما تخطط له هي بنفسها، وأعتقد أنها للمرة الأولى في حياتها تحب كما ينبغي. فكل ما كانت عليه بالنسبة إليك مجرد رهن، أليس كذلك؟ لم تحبيها أبداً لذاتها كما يحبها شقيقي، بل أنت تحبينها من أجل الهدف الذي تريدين. حقاً! أنا آسفة. لكن فات الأوان، فماريا تزوجت من شقيقي، وأنا هنا».

- لا داعي لتخبريني بما تفعلينه هنا.

صرحت الكونتيسة بذلك بازدراء، ثم تابعت: «أنت جئت إلى هنا بهدف إغواء لوك والعودة إليه مرة ثانية. حسناً! طريقتك لن تنجح. لا أفهم كيف

تمكنت من إقناع لوك بإعلان خطوبته منك، لكن أعدك أنني سوف أعرف كيف... وعندما أعرف الحقيقة...».

لم تقل كاري شيئاً، فلتعرف الكونتيسة بنفسها أنها بعيدة عن إغواء لوك بالخطوبة، وأنه هو من فرض هذه الخطوبة عليها.

- أنا لا أبرئك من هذه المؤامرة. فأنت تعمدت إقناع حفيدتي المسكينة لتتورط مع شقيقك الحقير كي تسرق المكان المخصص لها حقاً. أنت لا تصلحين لهذا المنصب العالي. ليس لديك أية فكرة عن كيفية التصرف كزوجة لرجل في مثل مركز لوك. فقط انظري إلى نفسك... ثيابك... لم أسمح أبداً لماريا بارتداء ملابس كهذه... الجينز...

مزاج كاري وصل إلى نقطة الانفجار، لكن كبرياءها بدت أكثر تأثراً من كلام الكونتيسة المليء بالازدراء. إذاً، الكونتيسة تعتقد أن كاري ليست لائقة لتكون زوجة لوك، وأنها لا تعرف كيف تتصرف في مثل هذا الدور، وكيف ترتدي لهذا المنصب... حسناً! فكّرت كاري بغضب، قريباً سوف تظهر لها كم هي مخطئة بذلك.

- وما كل هذه الأغراض؟

سألت الكونتيسة وهي تحملق بغضب إلى كوم من الأكياس والصناديق.

- إنها ثيابي الجديدة.

أخبرتها كاري متابعة باستمتاع: «اشتراها لي لوك».

ظهر الغضب الشديد على وجه الكونتيسة وقالت: «آه! فهمت. يبدو أنك لم تضيعي الوقت في إقناع لوك بإنفاق المال عليك! كم مضى عليك من الوقت وأنت في سانت انتاندر؟ يوم... يومان...».

تحملت كاري ما فيه الكفاية من كلام الكونتيسة الجارح، فردّت عليها قائلة: «إنها فكرة لوك وليست فكرتي. على أية حال؛ كما سبق ولمّحت أنتِ بنفسك، بما أنني سأصبح زوجة لوك فمن اللائق أن أرتدي ثياباً مناسبة لهذا المركز».

موجة مفاجئة من العصيان غمرت كاري جعلتها تضيف بنبرة مسرحية مثيرة: «بالطبع! أنا لا أريد أن أخذل لوك، وبما أنني سأصبح زوجته...».

لاحظت كاري كم أن كلماتها تغيظ المرأة الأخرى، مع أن جزءاً منها صُدم لقدرتها واستعدادها للتظاهر بما ليس حقيقياً، وقد فاجأتها هذه القابلية غير المعهودة للتمثيل لديها. لتزيد من غيظ الكونتيسة وغضبها، وجدت نفسها تلوي شفتيها وترفع رأسها بحركة مفاجئة حين نظرت إلى السرير وألقت نظرة متريثة على الصناديق والأكياس التي رفضتها سابقاً.

- آمل فقط أن يتذكر لوك أنني لا أملك مجوهرات لائقة. رغم كل شيء، فعندما نحضر العشاء الليلة على يخت جاي، من المهم أن يبدو مظهري لائقاً لدوري الجديد. لم أعد أطيق انتظاراً حتى موعد زواجنا، سوف يكون ذلك في نهاية الشهر، حين تحتفل الدولة بعيدها الخمسمئة. سمعت أن مجوهرات التاج الخاصة بسانت انتاندر رائعة بشكل استثنائي.

تحوّل لون وجه الكونتيسة إلى لون أرجواني مرقش بغيض.

- لن تتزوجي لوك أبداً!

أعلنت الكونتيسة ذلك بغضب، مكررة: «أبداً!».

أجفلت كاري حين سمعت الباب يغلق بقوة خلف الكونتيسة، وأدركت بارتعاش أنها حقاً قطعت عليها الطرق. سوف تدفع ثمناً غالياً بسبب الغضب والكبرياء الذين دفعاها لتقاوم الكونتيسة بهذا الشكل. والأسوأ من ذلك، أنه ما عاد بإمكانها الظهور في حفلة الليلة مرتدية فستانها الأسود. لقد نال لوك ما يريده مرّة أخرى!

جلست كاري على حافة سريرها، فيما أنهت خادمتها تعليق آخر قطعة من الثياب، متخلية عن الشكليات التي أظهرتها عندما خدمت كاري للمرة الأولى. لا شيء يضاهي تبادل امرأتين إعجاباً مشتركاً أثناء قيامهما بفرز الثياب التي تحتوي عليها الأكياس. استجابت بينيتا بسرعة لأسئلة كاري، كاشفة أنها أنهت دراستها الجامعية، واستلمت هذه الوظيفة في القصر أثناء الصيف فقط لسدّ الثغرة المالية للسنة التي أمضتها في الخارج، قبل أن تستقر في وظيفتها التي اختارتها في القانون.

يا لها من ثياب! اعترفت كاري على مضض أن الثياب جميلة حقاً، ومختارة بعناية. هي تملك الآن خزانة مليئة بالثياب لجميع المناسبات. من

الأثواب الرسمية الرائعة بكل ما للكلمة من معنى إلى ثياب الجينز الجلدية المثيرة والتنانير القطنية المذهلة على حد سواء. لم تستطع كاري منع نفسها من الابتسام عندما فتحت هذه الأكياس. سخرت في سرها من تعليق الكونتيسة المتكبر ذاك أن زوجة لوك لا تستطيع ارتداء الجينز. فهناك الكثير من أثواب الجينز لكن ليس هناك من طريقة لتعرف إذا كان لوك هو الذي اختار الثياب بنفسه.

اقترحت بينيتا متحمسة بسرعة كبيرة لدورها الجديد: «أظن أن هذا الثوب مناسب لهذه الليلة».

نظرت كاري إلى الثوب الذي تحمله بينيتا. إنه ثوب مشكوك بالخرز ذو قبة محفورة بجرأة. إنه رائع جداً، لكن...

- لا أعتقد! لهذه الليلة، هذا سيكون أفضل.

قالت كاري ذلك متجهة نحو الخزانة ومنتزعة ثوباً بسيطاً مقلّماً من الساتان، قشدي اللون ذا قبة عالية مع ثنيات على الرقبة، وتنورة أنيقة.

اعترضت بينيتا قائلة: «هذا ثوب بسيط جداً وغير مثير».

ثم احمر وجهها خجلاً وتمتمت قائلة: «أنا... أنا آسفة. أصبحت... أنا يجب...».

- لا! أفضل أن تكوني صادقة معي.

قالت كاري ذلك بحزم ثم تابعت: «أنت محقة، هذا الثوب ليس مثيراً، لكنه الثوب الذي سأرتديه».

تفحصت كاري ساعتها. حان الوقت لتنزل إلى صالة الاستقبال الخضراء، وتلتقي بلوك قبل مغادرتهما إلى يخت جاي. أرسل لها رسالة في وقت سابق معلناً أن لديه بعض الأعمال ليقوم بها، لذلك لا يستطيع مشاركتها العشاء، لكنه دعا بعض المقربين وزوجاتهم لشرب القهوة معهما قبل الحفلة. وهكذا يتعرفون على كاري.

ما زال الخاتم الكبير في يدها اليسرى ثقيلاً وغريباً. أنكرت بينيتا بشدة أن تكون قد زودت أحداً بمعلومات في ما يتعلق بمقاس كاري للثياب والمجوهرات. لكن يبدو أن شخصاً ما خمّن بشكل صحيح.

بدا الثوب الذي ارتدته كاري لائقاً تماماً عليها. نزل بانسياب على جسمها ليتدلى القماش الثمين بنعومة، ثم يتسع تدريجياً ليشكل ذيلاً ناعماً خلفها. أما الجزء الخلفي من الفستان، فقد اعترفت كاري أنه منجز ببراعة فائقة، إن لم تقل بطريقة ساحرة. فقد صمم الصف الصغير للطيات على ظهر الثوب مباشرة تحت الخصر بشكل لائق يجعله يتسع على نحو غير متوقع، وبطريقة أنيقة.

قررت رفع شعرها بطريقة بسيطة وأسلوب ناعم ينسجم مع طراز الثوب، ويعطيها، من جهة أخرى، فرصة لتعرض بتباهٍ القرطين المرصعين بالماس الجميل الذي أهداها إياهما والدها بمناسبة عيد ميلادها الحادي والعشرين. حملت معها دثاراً مناسباً للثوب تحسباً لتغير الطقس الربيعي إلى البرودة.

إنها السابعة والنصف! حان وقت نزولها إلى صالة الاستقبال. شعرت كاري بالهدوء الذي طغى على الغرفة عندما فتح الحارسان الباب لها لتدخل.

اجتمع في الصالة أربعون شخصاً تقريباً، بدا حجمهم ضئيلاً نسبة إلى اتساع المكان، لكن كاري لم ترَ سوى اثنين منهم، على أي حال، الأول لوك، الذي وقف مواجهاً لها، مرتدياً بذلة رسمية. لبؤسها، شعرت كاري أن قلبها يلتوي تقريباً كما لو أن سكيناً قد اخترقه.

أما الشخص الثاني فهو الكونتيسة، التي ارتدت ثوباً رسمياً من الساتان الثقيل بينما زين الماس رقبتها ويديها. لاحظت كاري أن برودة الماس الجليدية لا تضاهي النظرة الباردة في عيني الكونتيسة حين حدّقت إليها.

أحسّت كاري بدافع لا يقاوم لتركض نحو لوك. وفي الحقيقة... اكتشفت أنها فعلاً تقدّمت بضع خطوات نحوه قبل أن تستطيع إيقاف نفسها.

حين تمهلت، تقدم هو نحوها مادّاً يده لها. الحركة المفاجئة ليد الكونتيسة لفتت انتباه كاري ما جعلها تتراجع حين رأت الكراهية والازدراء في عيني المرأة العجوز. رفعت كاري ذقنها ومشت بصمت نحو لوك، محدقة به إلى أن وصلت إليه.

- كاري!

الدفء الناعم الذي سمعته في صوته لم يكن لمصلحتها. حاولت كاري تذكير نفسها بذلك عندما شبك أصابعه بيدها، وأدارها نحو رجال الحاشية الملكية المنتظرين.

بعد عشر دقائق، أدركت كاري أنها تقبلت الأمور بسهولة، ذلك أنها لم تعد تشعر بالتوتر كلما انحنى أحدهم باحترام لهما... أو بالأحرى للوك.

لاحظت أن الأشخاص الذين تعرفت عليهم هم الجناح المحافظ في القصر. هؤلاء كانوا أصدقاء لوالده، وفي بعض الحالات لجده. إنهم رجال أجلاّء، فخورون، قديمو الطراز يرتدون الميداليات بكبرياء، ترافقهم زوجاتهم اللواتي ذكرن كاري برهبة مديرة مدرستها الداخلية.

لاحظت كاري أن هناك وجهاً أو وجهين أصغر سناً. هؤلاء يقفون في معزل عن الآخرين، فالمجموعة الكبيرة السن تجمعت بمعزل عن الشبان.

- عرابتي، الكونتيسة دوغر. لا ضرورة لأن أعرفك عليها، كاري.

وافقته كاري بتجهم: «لا، بالفعل! لا داعي لذلك».

استدارت المرأة العجوز نحو لوك متجاهلة كاري كلياً وبدأت تقول: «لوك، أنا لا...».

قبل أن تدرك الكونتيسة كلامها، وضعت كاري يدها على ذراع لوك وانحنت نحوه قائلة بنعومة: «لوك حبيبي، كنت منشغلاً جداً بتقديمي للناس، لذا لم تسنح لي الفرصة لأشكرك على هديتك الرائعة».

اقتربت كاري منه أكثر وعينا أنثى الظبي تدركان غضب الكونتيسة ونظرة لوك اليقظة الغامضة.

- أنت حقاً كريم جداً!

تابعت كاري كلامها بقوة: «شكراً على هذا الثوب الجميل وبقية الثياب البالغة الأناقة».

شعرت بذراع لوك تتصلب حين أمسكتها كاري واقتربت منه، ممررة أصابع يدها الأخرى على فكه النحيل القاسي في حركة لطيفة تنمّ عن شكرها الزائف.

تمكنت من رؤية الوجوه المصدومة بطرف نظرها. لكن تلك الصدمة لا

تقارن مع صدمة لوك الذي تصلب جسمه بقوة. في الحالة العادية لم تكن لتتصرف بهذه الطريقة، لكن الأمر يستحق المحاولة. لا سيما بعد أن رأت وجه الكونتيسة القاسي ينتفخ غضباً.

- يجب أن أشكرك كما ينبغي... لاحقاً.

تنهدت كاري مظهرة نظرة هيام غامض فقط لتتمتع برؤية نظرة التساؤل في عيني لوك والمرارة في عيني الكونتيسة.

- ما سبب ذلك كله؟

سألها لوك بعد عشر دقائق حين أصبحا لوحدهما.

- ماذا؟ بشأن ماذا؟

سألت كاري ببراءة، وسرّت كثيراً لرؤية الطريقة التي زمّ بها شفتيه غاضباً.

- لا تلعبي هذه الألعاب معي، كاري. أنت تعرفين ما أعني.

هزّت كاري كتفيها بالرفض، وتابعت بخجل: «أردت فقط أن أشكرك على الثياب...».

- لوك، أعرف أن الوقت ليس مناسباً، لكن أردت أن أتحدث معك عن مظاهرة اليوم...

إنه أحد رجال الحاشية الشبان. نظرته بدت اعتذارية بسبب مقاطعته لهما. لكنه تابع قائلاً: «سمعت أن هذه المجموعة الثائرة تنوي تقديم سؤال للجلسة المفتوحة المقبلة حول السماح للأشخاص الذي يخرقون قوانين حقوق الإنسان باستثمار أموالهم في سانت انتاندر. من المؤكد أن القضية ستجذب مقداراً كبيراً من الاهتمام العالمي، في الحالتين».

أصغت كاري بانتباه، فهي مطلعة على قوانين الدولة، وهي إقامة حاكم الدولة ثلاث جلسات برلمانية شهرية مفتوحة يطرح خلالها رعاياه أية قضية لمناقشتها معه. لكن فضول كاري كعالمة اقتصادية تركز على ما يقال أمامها.

أية تغييرات في القوانين المالية في سانت انتاندر ستكون لها مضاعفات خطيرة على الاقتصاد، لكنها تعرف أيضاً أن هناك ازدياداً في القلق والاعتراض بين أفراد الشعب حول الطريقة التي أودع فيها البعض أموالهم

بسرية في سانت انتاندر. فقوانين السرية المصرفية المعتمدة في الدولة أكسبت سانت انتاندر هذه الثروة.

- هناك قضيتان منفصلتان هنا، كارلو.

أجاب لوك بذلك ثم تابع قائلاً: «... فمن جهة، لدينا التدفق الجديد لضرائب المبعدين حديثاً، الذين يريدون ببساطة تجنب دفع ضرائب إضافية في بلادهم، لذلك جعلوا موطنهم هنا، ومن ناحية ثانية هناك الذين لا يعيشون هنا لكنهم أودعوا ثرواتهم في حسابات المصارف السرية التي كانت معتمدة خلال فترة حكم جدي».

- بعض السلطات تضغط بشدة من أجل التوصل إلى إلغاء ذاك النظام القديم، كما تعرف. على الأرجح ستكون هناك معركة تشريعية كبيرة في هذا النزاع. لوك، علينا إيجاد طريقة لجعل هؤلاء الأشخاص يثقلون ودائعهم.

- صحيح ما تقول كارلو، لكن هناك آخرين يتخذون رأياً معاكساً تماماً، ويقولون إننا، من الناحية القانونية، لا يمكننا القيام بذلك. يجب علينا عدم القيام به، بما أن الدخل الذي تجنيه الدولة من إدارة مثل هذه المسائل كبير جداً.

عبست كاري وهي تصغي إلى كلام الرجلين، ولاحظت بتجهم أن لوك لم يقل أي من طرفي النزاع يدعم. هي شخصياً تدعم تماماً حرمان هؤلاء الأشخاص من حماية القانون، وإعادة أموالهم المكتسبة بطريقة غير شرعية لأصحابها الشرعيين، لكنها تعرف أن آرائها على الأرجح لن تعجب لوك، وسوف يتهمها بأنها انفعالية وعاطفية.

رغم ذلك، فبعد نصف ساعة، حين كانا لوحدهما جالسين معاً في السيارة التي أوصلتهما إلى المرفأ وإلى يخت جاي، اغتنمت فرصة وجود حاجز بينهما وبين قمرة السائق، ولم تستطع كاري مقاومة تحدّيها للوك، فقالت: «لاحظت أنك لم توافق على ما قاله كارلو».

ردّ عليها لوك بتهذيب، راداً التحدي إليها: «في حين أنك أنتِ توافقينه الرأي، طبعاً؟!».

- نعم. في الحقيقة أوافقه الرأي.

وافقته كاري بحدة وتابعت: «أعتقد أنه من غير المقبول على الإطلاق أن يكسب أحدهم أموالاً من معاناة أشخاص آخرين...».

هي تعني ما تقوله، لكنها طبعاً عرفت أن ملاحظتها هذه تمس لوك شخصياً.

للحظة اعتقدت أنه لن يتنازل ويجيب، لكنه بعد ذلك قال ببرودة: «أتساءل، هل خطر ببالك، أن المال الذي جنته الدولة من الودائع المصرفية السرية للناس ساعد في دفع أجر والدك وموّل دراستك بطريقة غير مباشرة؟».

استطاعت كاري رؤية وميض في عينيه حين استدارت وحدّقت إليه.

سألها لوك: «أليس لديك ما تقولينه؟».

أدارت كاري رأسها ونظرت إلى الخارج من نافذة السيارة. فتعليقه صدمها، لكنها لم تقدر على دحض الحقيقة في كلامه بصورة منطقية.

قال لوك متابعاً: «الأوضاع تتغير. عندما أصبح جدي حاكماً، كانت هذه الدولة فقيرة جداً. أراد جدي تحسين الوضع، فأخذ بنصيحة أحدهم عن كيفية زيادة الأشياء النافعة لهذه الدولة، فراقب دولاً أخرى صغيرة ليرى كيف استفادت من القوانين الضرائبية والمالية. بالنسبة له المسائل كانت أبسط بكثير مما هي عليه الآن. كان حاكماً لدولة تعاني من فقر بالغ. هو مسؤول عن الأشخاص ذوي الثقافة المحدودة أو الذين يأملون بتحسين وضعهم ففعل ما بوسعه لمساعدتهم».

تابع لوك كلامه وبدا صوته قاسياً: «اهتمامه الأول كان بهؤلاء الناس... بشعبه. كانت آراؤه في كثير من الحالات محدودة، لكن في هذه الأيام لا أستطيع أن أنتقد ما فعله جدي. فسانت انتاندر تشكره بما أن شعبها يتمتع بمستوى عالٍ من المعيشة، وتشكره لأن أولادها يتلقون ثقافة عالية، كما نشكره لأننا نتمتع برعاية صحية ممتازة».

- أنت من قمت بالتحسينات الثقافية والصحية.

لم تستطع كاري عدم الإشارة إلى ذلك.

- ربما، لكن قدرتي على القيام بذلك مالياً يعود فضلها لجدي. لن أجعله

يتحول إلى غول. ولا أسمح بأن يرفض أو يشتم كل ما فعله لهذه الدولة.

بدا قاسياً بشراسة إلى درجة أن كاري أحسّت برعشة. فهذا وجه عرفته في لوك حتى عندما كانت فتاة مراهقة. كان دائماً يتكلم بشغف عن تعهده لبلده، لكن وقتها جعلت كاري ذاك الشغف رومنسياً. أما الآن، فهي واعية لبرودة قاسية وغير متزعزعة، تحركه نحو هدفه. ولضبط صلب للنفس يفرضه على نفسه كما على الآخرين.

تأتي سانت انتاندر بالنسبة إلى لوك في المرتبة الأولى، حتى قبل حاجاته ورغباته. الواجب والمسؤولية يحكمانه، مفضلاً ذلك على الحب. لدهشة كاري، إن معرفتها بذلك جعلتها تشعر بالأسف نحوه. فكرت باستياء أن مسألة نضجها تحتاج إلى مقدار كبير من المحاسبة الذاتية طالما أنها ما زالت تشعر بالتعاطف مع لوك.

لكن تعاطفها كان قصير الأجل حين قال لوك فجأة: «بأي حال، ما سبب ذاك الاستعراض الذي جرى في صالة الاستقبال؟».

سألته كاري: «ماذا تعني؟».

لكنها طبعاً عرفت ماذا يقصد، وبدت سعيدة لأن ظلمة الليموزين من الداخل حجبت وجهها المتقد بحرارة.

- أعني العرض السطحي المثير للاشمئزاز وغير الضروري للإقرار بالفضل الذي قدمته. فكاثرين التي أتذكر لم تكن لتتصرف بهذه الطريقة. لكن فوق ذلك، أقدّر أن تلك الفتاة لم تعد موجودة. أو أنها على الأرجح لم تكن موجودة أصلاً.

رمته كاري بنظرة قاتلة. كيف يتجرأ على انتقادها؟ إذا لم تعد هي نفسها، فمن الملام؟ من المسؤول عن تغيّرها من خلال معاملته القاسية والجارحة لها؟

- لا شك أن نوع الرجال الذين كنت ترافقينهم يشعرون بالمتعة لهذا اللطف الكاذب المقزز. لكن...

الرجال الذين كانت ترافقهم؟ آه! كم تتوق كاري لتصحيح فكرته عن هذه المسألة. لكن غريزة حفظ الذات الراسخة عميقاً فيها حذرتها من القيام بذلك. بدلاً من ذلك استدلت على وسيلة أخرى للدفاع عن نفسها

ومكافأتها.

- أنت محق في أمر واحد.

اعترفت كاري بتهور متابعة: «عادة أنا لا أسمح لأي رجل آخر بالتعامل معي وكأنني غير قادرة مالياً على اختيار ملابسي بنفسي. فالرجال الذين أرافقهم عادة لا يتصرفون معي بتلك الطريقة المهينة. أما في حالتنا، فلو كانت لدي حرية الاختيار، ما من شيء أرغب فيه أكثر من التخلص من هذه القضية برمتها ورميها تحت قدمي. لكن عليّ التفكير بشقيقي، بما أنك لا تسأم من تذكيري بذلك».

كذبت عليه! لا مجال مطلقاً للاعتراف للوك أن عرّابته المتغطرسة جرحت كبرياءها.

- إذاً، آمل أنك ستشكرينني أكثر بطريقة شخصية وسرية...

- أنت شديد الثقة بنفسك، لوك!

استوقفته كاري بحدة متابعة: «إن كنت تجدني مزعجة وغير مستحبة بالنسبة إليك، صدقني ذلك لا شيء بالنسبة لما أشعره أنا حيالك. فأنت آخر رجل أتمنى أن أكون إلى جانبه».

في تلك اللحظة توقفت السيارة، وأضاء السائق الأضواء الداخلية، ثم ترجّل ليفتح الأبواب الخلفية.

أحسّت كاري أن وجهها ما زال متقداً بسبب الكدر، لكنها على الأقل شعرت بالارتياح لأنها أوضحت مشاعرها تجاه لوك.

٥ - دع الجراح تنام!

مرفأ سانت انتاندر يمثل ميناءً متوسطياً مثالياً. التلال المحيطة به مزينة بالفيلات الأنيقة، أما المدينة بجانب المرفأ فما تزال على حالها، بما أنه لم يُسمح بالتوسع ببناء حديث. في النهار، تبدو البيوت الجذابة المدهونة بأسلوب توسكاني ذات ألوان متعددة، أما في الليل فالمدينة الصغيرة تبدو مبهجة للنظر تماماً. هذا المكان مثالي للمشاهد المسرحية وهو ينافس هوليوود بروعته. قررت كاري ذلك وهي تحاول عدم التأثر بأناقة المنطقة المتجددة بعناية واضحة، وقد ظهرت أمامها مجموعة من المقاهي الصغيرة والمطاعم المواجهة للساحة قبالة الحوض نفسه.

بدت الميناء مليئة باليخوت الفخمة، لكن ما من واحد منها يضاهي حجم اليخت الذي توقفوا إلى جانبه، لاحظت كاري ذلك عندما فتح السائق باب السيارة لها لتترجل.

فكرت أن الله وحده يعرف كم كلف هذا اليخت من الملايين لجعله يعوم بصورة هي غاية في الكمال. وترددت قليلاً غير واثقة أمام الممر المؤدي إلى السفينة.

أمسك بها لوك. وأحست كاري بيده تشد على مرفقها فانتفضت بحدة مبتعدة عنه.

- توقفي عن ذلك!

أمرها بذلك مباشرة وتابع: «هذه مناسبة عامة كاري، والأنظار متجهة نحونا».

- لوك! منذ يومين فقط كان الجميع يتوقعون زواجك من ماريا، لذا يصعب عليهم التصور أننا وقعنا في حب بعضنا بجنون. لا شك عندي أنهم

سيعتبرون أن لزواجك أسباباً عملية ملحّة وضرورية، وهو ليس زواجاً ناتجاً عن الحب.

- تعرفين كاري! ليس من المستغرب البتة أن تتحد الحاجة والرغبة معاً في المناسبات. أنتِ ستصبحين زوجتي، وأتوقع أن تتصرفي وفقاً لذلك.

- أحقاً؟ حسناً، عليّ إخبارك أن توقعاتك لا تؤثر بي. إنها حتى لا تهمني.

شهقت كاري حين ضغط بأصابعه على أعلى ذراعها. أصدرت معدتها مقاومة شرسة مع شيء غامض وخطر لم تستطع تسميته، وذلك حين انحنى نحوها ورأت الومضة الغاضبة في عينيه. لكن قبل أن يتفوه بأية كلمة ظهر جاي على سطح المركب مرحباً بهما بحرارة.

- عظيم! لقد أتيتما... أهلاً بكما على متن اليخت.

أخذ جاي بيد كاري ثم قبلها، ما جعلها تستدير وتنظر إليه لتجدد دهشتها بالتشابه الكبير بينه وبين لوك.

- تقدما، لننزل إلى الصالة الرئيسية وأقدمكما للجميع، فالكل متشوق لرؤيتك كاري، لا سيما السيدات. سمع الجميع عن خطوبتكما وطبعاً سمعوا عن إنقاذ لوك للطفل... كان ذلك عملاً بطولياً لوك. يجب أن يؤدي إلى تقدم كبير لتهدئة المشاكل التي تواجهها مع الدهماء.

استطاعت كاري أن تسمع مسبقاً همهمة الأحاديث والضحك الآتية من الصالة الكبيرة الأنيقة التي يقتربون منها. غضبت من نفسها لأنها تشعر بالتوتر. برغم كل شيء، لمَ عليها أن تشعر بالغضب؟ ما إن دخلت برفقة لوك من خلال الباب المزدوج إلى الصالة، حتى حل سكون مفاجيء على الغرفة، وتركز انتباه الموجودين عليهما.

- سيداتي سادتي، اسمحوا لي أن أقدم ضيفي الشرف، ابن عمي، سمو الأمير لوك، حاكم سانت انتاندر وزوجته العتيدة الجميلة، الآنسة كاثرين برودبنت.

بينما وقفا ينتظران انتهاء التصفيق، استدعى جاي أحد الخدم المنتشرين في المكان وقدّم كوب عصير لكاري، ثم قدّم الخادم كوباً آخر للوك.

تجرعت كاري رشفة من العصير بحركة عصبية، ما جعلها تشعر ببعض الارتياح. لاحظت أن الزخرفة في الصالة ليست أقل من زخرفة القصور. طرفت عينيها قليلاً متسائلة إذا ما كانت الرسومات التي تراها على الجدران أصلية كما تتوقع أم أنها نسخة ممتازة فحسب.

إيجاد الراحة بالأمان المالي هو هدف معظم الناس، يطمحون إليه بالفطرة وبالإدراك. سلّمت كاري بذلك. لكن امتلاك هذا النوع من الثروة...

لوك أيضاً ثري جداً، لكنه ليس فعلياً بغنى ابن عمه الأميركي. فثروة لوك هي حصة وجزء من ميراثه، وهو يعتبرها أمانة مكرّسة. في حين أن جاي...!

لا عجب أن لوك يصفه بالبليونير!

- لوك، عزيزي...! آمل أنك لا تتوقع مني الانحناء لك. برغم كل شيء، فمعرفتنا لبعضنا تتعدى الشكليات، أليس كذلك؟

ركزت كاري انتباهها بشكل آلي على المرأة التي تبتسم للوك، وعرفتها على الفور. إنها واحدة من المواهب الجديدة في هوليوود.

مع أن كاري نحيفة، لكن هذه المرأة صغيرة جداً، خصرها يساوي عرض اليد، ورجلاها اللتان تبرزان بوضوح تحت الحرير الغالي لثوبها الطويل، تبدوان نحيفتين بشكل لا يصدق، حتى إن كاري خالتها هشّة كأرجل مهر صغير.

وحده صدرها يظهر إشارة الأنوثة، بالإضافة إلى شفتيها المكتنزتين. حتى إن كاري لم تستطع الإشاحة بنظرها عن شفتيها الوامضتين القرمزيتي اللون. إذا كانت هي لم تستطع الإشاحة بنظرها عنها، فما بالك بالرجل؟ سلمت كاري أن لوك يجد تلك المرأة فاتنة جداً.

لم تشعر كاري إلا بالممثلة وهي تقف إلى جانب لوك مما سمح لها بوضع يدها الجميلة ذات الأظافر المقلمة على ذراعه، فيما أدارت ظهرها لكاري.

فكرت كاري أنها إذا اعتبرت نفسها حقاً خطيبة لوك، فسوف تشعر بأنها مهملة ما يجعلها غاضبة جداً.

- لوك، أتعلم أنك رجل ماكر؟

بدأت النجمة كلامها المغيظ متابعة: «وعدتني أن تأخذني إلى مونت كارلو، إلى الكازينو ولم تفعل، كما أنك حتى الآن لم ترَ الڤيلا الجديدة. لا شك أنك ستحبها. أعطيت تعليمات لمهندس الديكور لينفذ أفكارك بحذافيرها، لاسيما في ما يتعلق بإقامة شرفة وجاكوزي خاص. لا أحتمل الانتظار لأريك إياه. أخبرت مدير أعمالي أن سانت انتاندر ستكون موقعاً مثالياً جداً لفيلمي الجديد. مع أن ما من ممثل يمكن مقارنته بك لوك. أنت رجل حقيقي...».

أصدرت الممثلة ضحكة ناعمة، ومرّرت رؤوس أصابعها بطريقة حميمة على ذراع لوك قبل أن تقف على أطراف أصابعها وتعانقه عناقاً سريعاً.

لم تستطع كاري الإشاحة بنظرها عنهما، وتساءلت إذا كان باستطاعة لوك مقاومة الإغراء...

اتسعت عينا كاري حين لفّ لوك أصابعه حول معصم الممثلة صاداً إياها، ومتراجعاً خطوة بعيداً عنها.

- كاري، اسمحي لي أن أقدم لك الآنسة جينا بالو.

رأت كاري الحقد واضحاً في عيني المرأة الأخرى حين حدّقت إليها.

- آه! لوك. أشعر بالأسف لأجلك.

قالت الممثلة ذلك بتودد ثم تابعت: «لا أحد يتمنى أن يكون في مكانك، ويُكرَه على زواج دبلوماسي».

كورت شفتيها بطريقة مسرحية، مانحة لوك ابتسامة مغرية من ذلك الفم القرمزي اللون قبل أن ترمي نظرة نبذ متعمدة على كاري.

- اعتقدت أن بإمكانك فعل ما تريد، بما أنك حاكم سانت انتاندر. علاوة على ذلك، أعرف كم إن رفقتك ممتعة عندما تريد ذلك لوك...

لا يمكن إساءة فهم الاعلان الاستفزازي المغضب الذي تقدمه هذه المرأة. عرفت كاري أن جينا تقدم هذا العرض لتغيظها.

فجأة شعرت بالغضب الشديد لأن لوك سمح بأن تهان بهذه الطريقة. من الواضح أن هذه الممثلة لا تتورع عن مغازلة لوك أمام عينيها، وبوقاحة تامة.

حسناً! فكرت كاري، لم يُبدِ لوك انزعاجاً من دعوة جينا الصريحة، لكنها

لن تقف هنا بحماقة لتسمع إهاناتها...

تعمدت جينا تجاهل كاري تماماً، وسألت لوك بصمت قوي: «هل أعجبك العطر الذي أضعه؟ لقد صُنع خصيصاً لي».

وجدت كاري الرائحة المسكية الثقيلة طاغية جداً. فأرادت أن تغضن أنفها غريزياً وأن تبقي مسافة بينهما، لكن لوك لم يُبدِ أنه تذمر على الإطلاق من الممثلة التي تقترب منه أكثر فأكثر.

ظاهرياً، كانت كاري ما تزال متأبطة ذراع لوك. بدأت تسحب يدها بغضب شديد، وبابتسامة كاذبة مفتوحة قالت: «عذراً من فضلك. أحتاج إلى بعض الهواء النظيف فحسب».

حررت نفسها من قبضة لوك، ومشت بهدوء إلى الخارج. سمحت لنفسها أن تستسلم لغضب شديد يرتعد فيها ما إن أصبحت آمنة خارج الباب المزدوج.

كيف تجرأ لوك أن يعرض خليلته أمامها بتباهٍ، متوقعاً منها أن تقف بخنوع إلى جانبه، متجاهلة ما يحدث؟ قد يكون أميراً، وقد تسير في مشروع الزواج بسبب حاجة ما، لا بسبب الحب، لكنها ستبدو بغيضة إذا سمحت لنفسها بأن تهان في العلن على هذا النحو. كم من الضيوف الآخرين على اليخت توقعوا أو ظنوا أن لوك والممثلة حبيبان؟

لا شك أنهم انتبهوا إلى ذلك حتى لو لم يكونوا على علم بتلك العلاقة من قبل. فعرض جينا العلني وتصرفها التملكي نحو لوك واضحان جداً!

كاري لا تهتم ذرة واحدة بعلاقات لوك وحبيباته، لكنها لن تسمح بأن تمس كبرياؤها، ولا أن تقف هناك حيث تتباهى جينا بعلاقتها به أمامها، فتقوم بمغازلته وملاطفته، فيما لوك لا يقول شيئاً أو يفعل شيئاً ليردعها...

اكتشفت كاري أنها تصرّ أسنانها.

- كاري!

راقبت كاري بحذر تقدم جاي نحوها.

شرحت له قائلة: «أنا فقط خرجت إلى سطح المركب لتنشق الهواء النظيف».

- فكرة جيدة. أعتقد أنني سأرافقك.

قالها بطريقة دافئة ما منع كاري من الاعتراض.

- أرى أن جينا تحاول اصطياد لوك، فهي صائدة رجال بامتياز.

قال جاي ذلك وهو يرشد كاري إلى السطح.

ردت عليه كاري برقة: «آه! لا أعتقد أن لوك يعترض على ذلك».

حين وصلا إلى ظهر المركب، استطاعت كاري رؤية النظرة المتفحصة التي رمقها بها.

- آه... ! وردة ذات أشواك! ستناسبين لوك تماماً.

ابتسم جاي ابتسامة عريضة، وتابع كلامه فيما راحت كاري تنظر إليه بتعجب: «لوك رجل عظيم، لكن المحيط الذي يعيش فيه، كذلك أسلوب حياته هما أقرب إلى المثالية. إنه بحاجة إلى شخص قوي ليعيده إلى الواقع، ويحقنه بجرعة صحية من الحقيقة في ما يتعلق بالأمور التي تدور حوله. ينبئني حدسي أنك أنت المرأة المناسبة للقيام بذلك. لا تسيئي فهمي! أنا أحب ماريا، فهي فتاة رائعة... في الحقيقة ماريا فتاة طيبة، لكنها طيبة أكثر من اللازم بالنسبة للوك. هو بحاجة إلى امرأة تقف إلى جانبه بقوة لا لفتاة هادئة. امرأة تتمتع ببعض القساوة. امرأة تملك من القوة ما يكفي لتعامله على قدم المساواة معها، لتفهمه وتدعمه وتكون دائماً بجانبه».

ثم تابع جاي بجدية أكثر: «علي القول إنني لا أحسده على مسؤولياته. هو عالق في الوسط؛ فمن جهة هناك جحيم الوضع الدقيق الذي يحتاج إلى الكثير من القوة والشجاعة لإنجازه، ومن جهة أخرى هناك مجموعة من المتهورين يصرخون «فليقطع رأسه»... إذا جاز التعبير إذا لم يعطهم ما يريدون، ومن جهة ثالثة هناك مجموعة كاملة من السياسيين المحافظين المتكبرين العنيدين الذين يرفضون الاعتراف بأن الزمن قد تغير. آمل فقط ألا يجبروا لوك على محاكاة حكم سليمان في محاولته لإيجاد تسوية بين الفريقين».

عبست كاري متسائلة، فشرح لها جاي قائلاً: «ما أعنيه هو... حسناً! عندما ادّعت امرأتان أن الطفل نفسه هو طفلهما قال سليمان إنه يجب قطع الطفل إلى قسمين وفصله بالتساوي بين الامرأتين. عندئذٍ أعلنت الأم

الحقيقية أنها مستعدة للتخلي عن طفلها، مفضلة ذلك على رؤيته يتأذى».

أومأت كاري رأسها بتفهم.

- أكره أن أرى لوك يتخلى عن الحكم لأنه يشعر أن مصلحة سانت انتاندر تقضي بأن يقوم بذلك، مع أن الجميع يرون خلاف ذلك بالطبع. هو شخص موهوب وقائد فذ. وبرأيي أن هذه الدولة ستقع في مأزق ميؤوس من حلّه بدون لوك. وأظن أن أفضل شيء يمكنه أن يقوم به الآن هو أن يقدم لكل من الجهتين شيئاً آخر للتفكير به، وذلك الشيء طبعاً هو... أنت.

أخبرها جاي بذلك، مبدياً ابتسامة ملطفة وتابع: «زواج ملكي فخم، تتبعه ولادة طفل ملكي. ذلك سوف يحل الأزمة».

ضحك جاي ضحكة خافتة. وفي تلك اللحظة هبت نسمة هواء، فانزلق الدثار عن كتفي كاري. إلاّ أن جاي مدّ يده فوراً والتقطه، مثبتاً إياه في مكانه حول كتفيها برفق.

استدارت كاري نحوه بحركة آلية لتشكره، وما لبثت أن تجمدت في مكانها على الفور حين رأت لوك يقف على بعد خطوات منهما، يراقبهما.

لم تسيء كاري فهم النظرة التي لاحظتها في عينيه، كذلك جاي. استدار ابن عمه ونظر إليه، واعتذر فوراً قائلاً له بمرح: «من الأفضل أن أعود إلى الداخل...».

- أرى أنك لم تتغيري.

قال لوك ذلك زاماً شفتيه بعصبية ما إن أصبحا لوحدهما، ثم تابع: «أنت وأنا سنتزوج كاري، وإذا ظننت...».

استوقفته كاري مندفعة بضحكة لاذعة وقاسية: «آه! كم هذا مسلٍ!».

قالت ذلك بحدة ثم أكملت: «تسمح لعشيقتك بالتهامك حياً أمامي، ولا تهتم مطلقاً لعدم قدرتها على الانتظار إلى أن أعرف أنك أنت وهي صديقان حميمان، وبعد ذلك...».

- هذه جينا! لا تقصد أي إهانة أو أذية.

- هل أنت أعمى لوك؟ طبعاً هي تقصد الأذية، هي...

قال لوك بطريقة ساخرة: «انتبهي كاري! وإلا فإنني سأعتقد أنك

تغارين. إذا كانت رؤية جينا تتودد إلي وتعانقني...».

- لا، أبداً!

ارتفع صدر كاري باهتياج عنيف وهي تتصارع مع غضبها الشديد. استطاعت، على الرغم من العتمة، رؤية لوك يدير رأسه، لكن لزمها بضع ثوانٍ لتنتبه إلى أن ما لفت انتباهه هو جسمها. في الواقع، بدا جسمها رشيقاً ومتناسقاً من خلال الثوب الضيق ذي القماش الناعم الذي ترتديه.

يمكن للغضب أن يكون خطيراً بحيث يدفع بالمشاعر إلى أقصى حدود المبالغة. اعترفت كاري بتجهم أنها بغنى عن مثل هذه التجربة الآن، وذلك حين غمر الاهتياج الشديد جسمها بموجة من الأحاسيس التي تركتها مصدومة، مرتبكة ورافضة بقوة لما تشعر به.

- سبق أن عانقتني، لوك.

ذكرته كاري بذلك بوحشية، وتابعت كلامها بغضب شديد: «وما اختبرته علّمني أن لا شيء عندك يجعلني أغار. إذا كنت... ستلمسني أو تعانقني الآن فذلك لن يعني لي شيئاً. في الواقع، من المحتمل أن أصاب بالغثيان».

- هل ما تقولينه حقيقة؟ حسناً! إن كان ذلك صحيحاً.

بدا صوت لوك منخفضاً مكتوماً، ونبرته تظهر غرور رجل مجروح. استدارت كاري لتهرب، لكن بعد فوات الأوان... أغضبها لوك فأغضبته هي بالمقابل. كان عليها أن تتذكر أنه يكره الخسارة في أي شيء، وبأية طريقة.

نجح لوك بطريقة ما في تطويقها، ما جعل ظهرها يستند إلى سياج اليخت. أمسكتها يداه بإحكام على جانبي خصرها.

كانا يقفان مقابل بعضهما البعض. استطاعت كاري الشعور بضربات قلبه المتناسقة؛ البطيئة، الكثيبة بالإضافة إلى ضربات قلبها السريعة، الشديدة الاهتياج بسبب الذعر.

اجتاحها سيل قوي من الأحاسيس الخشنة المؤلمة التي لم تكن كاري مستعدة بأية طريقة للتعامل معها، مما أربكها وأغاظها تماماً. من جهة

أخرى، بدا ذلك الإحساس القوي الموجع الجارح مألوفاً ومخجلاً في الوقت نفسه.

ألم تتذكر حقيقته؟ طبعاً هي تتذكر. لكن كان ذلك منذ زمن بعيد، أما الشعور الآن... إن مجرد استعادتها لهذا الشعور الآن لا يعني ما كان يعنيه آنذاك. فهي لا تريده...

كيف تريده؟ الموجة العنيفة من المشاعر، الشوق... اللهفة هي مجرد نزوة مؤقتة. حاولت التخفيف عن نفسها، لكن خلايا جسدها بأكملها استجابت له. ذلك المزيج من الانجذاب الحسي والرفض الانفعالي جعل رأسها ينبض بالضغط.

انحنى رأس لوك، وتمكنت كاري من رؤية حركة رموشه الكثيفة الطويلة أثناء رفعه لجفونه ببطء لينظر إليها بهدوء:

- هل تتذكرين المرة الأولى التي عانقتك فيها؟

فاجأها سؤاله لأنها لم تتوقعه على الإطلاق. لكن، بالطبع لا يمكنها الإجابة. وبدلاً من الإجابة ارتعش جسمها بعنف.

- كنت في الثامنة عشرة، وكنت تنظرين إليّ... بعينين كبيرتين تواقتين. عيناك أبلغتاني الرسالة من دون أن تتفوهي بكلمة. أينما ذهبت وأينما نظرت أراك تراقبينني بتلك النظرات التواقة المتلهفة.

أحست كاري بأصابعها تلتف، لتتحول يداها إلى قبضتين غاضبتين مؤذيتين. إنه يجرّدها من كبريائها، كاشفاً عن جرحها الفتي بمهارة وخبرة طبيب جرّاح، مستخدماً المبضع ببراعة، معيداً تقشير طبقات من اللحم الواقي للكشف عن الشيء الرقيق الحساس، سريع التأثر الذي هو الجوهر الأكثر سرية بالنسبة لها: قلبها، حبها، روحها...

شعرت كاري بألم قوي يحرق حنجرتها. أرادت البكاء بقوة... أحست أن صدرها ضاق جراء الألم الشديد فيه، لكن ما من طريقة يمكنها البكاء فيها.

بدلاً من القيام بذلك، قامت بتجميع دفاعاتها، فرفعت ذقنها وهزت كتفيها قائلة: «إذاً، جعلتك تتعلق بي؟».

محاولة بيأس أن تبدو غير مبالية...

- أأنا من تعلق بك؟ أنتِ قلت لي...

عرفت كاري أنها لا تستطيع تحمّل المزيد فاستوقفته بقوة قائلة: «كنت في الثامنة عشرة من عمري، كما يعني أنني كنت فتاة مراهقة لا امرأة ناضجة. ظننت أنك الشخص المثالي؛ الشمس... القمر... النجوم. بحق السماء! كنت أشعر بهزة في كياني كلما نظرت إليّ».

قالت كاري ذلك بوقاحة متمنية أن تمحو صراحتها التأثير الخطير الذي يحدثه فيها.

لكن حدث ما كانت تخشاه! بدلاً من الاستجابة لتعليقها بازدراء هادئ، كما أملت، نظر إليها لوك لوقت طويل، في الواقع... لفترة طويلة جداً، ما جعلها تناضل لتحمّل تلك النظرة.

- أعرف أن هذا ما حدث.

قال ذلك بلطف متابعاً: «تعودت النظر إليك ورؤية تلك الارتعاشة التي تغمر جسدك. تفضحها عيناك أولاً. ثم تتوتر حنجرتك ويبدأ نضالك لتتمكني من الابتلاع. في ذلك الوقت يكون قد فات الأوان لتسيطري على نفسك، فيحمر خداك، وتظهر عليك ارتعاشة صغيرة. كنت أنظر إليك، و...».

لم تعد كاري تستطيع التحمل. وعلى الرغم من معرفتها أنها تتصرف بطريقة انفعالية، لم تستطع منع نفسها من محاولة الاندفاع بعيداً عنه.

يمكن للحب أن يحول الرغبة إلى شيء أجمل مانحاً قيمة أكبر للحياة، لكن الغضب له تأثير مضاد. اعترفت كاري بذلك لنفسها باشمئزاز حين اقترب منها لوك وعانقها بقوة. تحول الغضب إلى قوة مظلمة كئيبة أحرقتها...

أصدرت كاري أنّة من أعماق حنجرتها حين أحست بجسمها يقهر ضبطها لنفسها، وسرعان ما غرقت في دوامة من التوق تدفقت في داخلها كالحمم البركانية جارفة كل شيء في طريقها.

لم تعد كاري هي نفسها، تلك المرأة الهادئة الباردة المنطقية. لقد أصبحت شخصاً آخر... امرأة لا تريد شيئاً أكثر من الشعور بيديه تلتفان حولها...

تشدّان بقوة على ظهرها وكتفيها، ثم تعودان للتربيت عليها بلمسات لطيفة لمحبّ شديد التوق.

لم تكن هناك لمسة مصطنعة بينهما، وإنما انفجار عنيف للمشاعر المكبوتة لفترة طويلة...

تنهدت كاري بتوق شديد حين انحنى لوك وشدها نحوه إلى درجة جعلتها تشعر بقلبه ينبض بقوة مقابل جسدها... ارتجفت متخيلة اللحظات التي أمضتها مع لوك في السابق، وبينما هو...

سمعا انفجار ضحك وموسيقى قوية حين فتح الضيوف الآخرين أبواب الصالة، ما أعاد كاري إلى أرض الواقع مع هزة تأنيب ذاتي عنيفة.

لاحظت كاري أن لوك أفلتها، وابتعد عنها بسرعة.

صرخ أحد الضيوف من الجانب الآخر لسطح المركب: «لوك، بحثنا عنك في كل مكان».

أحست كاري بيديها ترتجفان وهي تسوي ثوبها. ابتعدت عن لوك رافضة النظر إليه، محدقة بالظلام المسيطر على البحر.

شعرت بجسدها ثقيلاً وبارداً. ما حصل منذ قليل... استسلامها المخزي لعناقه... جعلها تشعر بالغثيان. ليتها تستطيع تجاهل لوك والسير بعيداً عنه لتغادر هذا المكان وتصل بأمان إلى حدود سانت انتاندر! لكن عليها التفكير بهاري، وهي تعرف أن لوك لن يتردد بتدميره إذا لم تفعل ما يريد.

لم تشعر كاري بالارتياح إلا بعد أن قاربت الأمسية على الانتهاء، فعظام وجنتيها آلمتها من التظاهر بالابتسام. أحسّت بالحرارة والجفاف في عينيها. كما أحسّت أنها تكره لوك أكثر مما تتصور أنه يمكن لإنسان أن يكره إنساناً آخر.

تبعها لوك عائدين إلى الصالة الرئيسية لليخت، وأبقاها مكبلة إلى جانبه لبقية السهرة، مرهقاً إياها برفقته. أدركت وهي تشعر بازدراء أن ذلك بمثابة إعلان واضح بالتملك. بعد ثلاث محاولات فاشلة لإبعاده عنها، لم تفاجأ كاري عندما قامت جينا بتمثيلية للفت نظره فراحت تحوم حول شاب ضخم هو ممثل شاب يُتوقع له النجاح، وذلك حسب ما سمعته كاري همساً من

ضيف ثانٍ.

حذرته كاري بقوة: «ما يحصل ليس منطقياً على الإطلاق».

تحداها لوك فوراً قائلاً: «ما المعنى؟».

- المعنى هو أنه يبدو تافهاً إلى حدّ ما أن تبقيني مقيدة إلى جانبك، كما لو أننا ملتصقان معاً، في حين أن معظم الضيوف هنا سبق أن رأوك مع جينا الليلة وأنت أبعد ما تكون عن مظهر رجل خطب حديثاً، وهم يعرفون، على الأرجح، أنك وجينا حبيبان.

- علاقتي بجينا...

توقف لوك بحدة عابساً.

- لا تعنيني!

أكملت كاري جملته بدمائة متابعة: «لا! أنا مسرورة للقول إنها لا تعنيني، بما أنك لم تعد تهمني أبداً».

أعطاها ذلك حساً حقيقياً بالانتصار والثقة بالنفس، لا سيما بعد ما حصل على سطح المركب. الآن، ها هما داخل السيارة، جلست كاري بصمت متعمدة الابتعاد عنه قدر المستطاع مبقية وجهها نحو النافذة، فراحت تحدق بهدوء إلى الخارج.

راحت السيارة تصعد بخط متعرج الطريق المؤدي إلى القصر، ما سمح لها برؤية الأضواء المتلألئة للمرفأ تحتهما.

- إذا أردت أن تمر لتلقي نظرة على ڤيلا جينا، فلا تشعر بالتردد بسببي.

وبخته كاري بطريقة ساخرة، مشيحة ببصرها عن المنظر الخارجي. استدارت نحو لوك وتابعت: «أو ليس هذا ما اتفقتما عليه؟ أم أنك تفضل الانسلال من القصر دون أن يلاحظك أحد و...؟».

- سبق أن قلت لك إن علاقتي بجينا...

- لا تعنيني، أعرف.

وافقته كاري بلا مبالاة. بدأت تشعر بالفخر بنفسها فهي لا تستمتع بالاضطهاد، بل هي بعيدة كل البعد عنه. إنها لا تحاول توجيه الألم إلى نفسها بالتحدث عن حبيبة لوك، بل على العكس، ما تفعله هو، بكل بساطة، تذكير

نفسها أي نوع من الرجال هو لوك فعلاً. لكي تدحض ذلك الشعور المزعج والغريب الذي اختبرته بين يديه.

أقنعت كاري نفسها بذلك، حتى لو لم يُعجب لوك بما تقول، وهو فعلاً لا يعجبه. قدّرت ذلك من البريق الذي رأته في عينيه، والتعبير القاسي لفمه.

عندما دخلا من البوابة التي كانت في ما مضى البوابة الرئيسية للقصر المحصّن، حيّاهما حارسان كانا في الخدمة.

توقفت الليموزين بجانب الأبواب المزدوجة التي تؤدي إلى جناح لوك الخاص.

رافقها لوك بصمت وقد بدا وجهه متجهماً، إلى الأبواب التي انفتحت عند اقترابه بواسطة حارسين يرتديان القفازات البيضاء. انحنى الحارس عند دخولهما، وبالرغم من أن لا أحد منهما يرتدي اللباس الرسمي، فالتأثير ما يزال رسمياً بامتياز.

الأجنحة الخاصة لحاكم سانت انتاندر صممت في الوقت الذي توسعت فيه عائلة هايسبرغ من خلال امتلاك القصور في أنحاء أوروبا، في وقت ساد فيه الطراز الباروكي الذي اشتهر في تلك الفترة.

ذات مرّة علق لوك بحزن أنه أحياناً يتوق للنظر إلى سقف غير مزخرف أو مغطى بالجص وكأنه جزء من حياته، إلى سقف مطلي ببساطة بلون أبيض ناعم.

تذكرت كاري صدمتها في ذاك الوقت، حين عبر لوك عن نفوره من محيط يبدو تاريخياً وجميلاً بشكل واضح. أما الآن فيمكنها أن تفهم سبب توقه إلى طراز المنازل الحديثة البسيطة القليلة الأثاث، تماماً كما يتوق المرء إلى الكفاف بعد الافراط في تناول الطعام الدسم.

فكرت كاري أنها لو كانت واقعة في حب رجل مثل لوك وهو يبادلها الحب فإن وجود أشخاص آخرين حولهما، أياً كان عددهم، سيكون تطفلاً غير مرغوب فيه، لكن طالما أنهما ليسا كذلك، فهي مسرورة جداً لوجود أشخاص آخرين حولهما.

في وقت آخر... في عالم آخر... ربما تحلم بلوك وهو يسحبها بلطف

إلى ظلال الأروقة الطويلة ليعانقها بشدة، لأنه لا يستطيع الانتظار حتى يصلا إلى الغرفة الخاصة المنعزلة. أما الآن، فهذا آخر شيء تريده.

أعلن لوك بتهذيب حين وصلا إلى النقطة التي يتفرع الدرج فيها إلى جهتين مختلفتين: «سأتركك هنا!».

تماماً كما يليق بخطيبة لوك؛ تنام كاري في الجناح المقابل للجناح الخاص بلوك.

كما لو أنه دخل إلى رأسها وقرأ أفكارها، أضاف لوك بنبرة جافة: «ليكن واضحاً أننا ما إن نتزوج سنتشارك الجناح الرئيسي الذي كان أصلاً لجديّ وبعده لوالديّ».

نتشارك؟! تجمد جسمها كله وقفز قلبها من مكانه بقوة...

تابع كأنه خمّن ما تفكر فيه مرّة ثانية فقال: «نظراً للظروف، سوف نشغل طبعاً غرفتين للنوم منفصلتين».

هز كتفيه بلا مبالاة، وتابع: «بما أن التقاليد في سانت انتاندر هي أصلاً رجعية في كثير من المسائل، فإن حقيقة وجودنا في غرفتين منفصلتين لن تبدو غير مألوفة أو مثيرة للجدل».

ثم تابع بصراحة: «وحدنا أنت وأنا سنعرف أننا عندما نكون بمفردنا لن نفتح الأبواب التي تصل ما بين الغرفتين، بل ستبقى مغلقة بإحكام».

قال لوك ذلك، ثم استدار وبدأ بالابتعاد عنها، تاركاً كاري بعد انسحابه تحدّق في الفراغ وتتصارع مع مزيج معقد من العواطف.

حديثه عن ترتيبات النوم، والذي من المفترض أن يجعلها تشعر بالارتياح، أدى بالحقيقة إلى ارتفاع أحاسيس أخرى لديها، أكثر عمقاً وأكثر إرباكاً. ولتكن صادقة فقد اجتاحتها موجة جارفة من الشعور بالرفض والنبذ، طغت على كل ما عداها.

رغم أنها متعبة جسدياً، لكن كثرة التفكير لم تسمح لها بالنوم. غيرت ثوبها الطويل وارتدت ثوباً مريحاً، وراحت تستعيد في ذهنها الأحداث، وتتساءل إن كانت مخطئة في التعامل مع هذه المسائل بتلك الطريقة. ربما أمكنها أن تتجنب ما حدث بدلاً من الوقوع في مسائل غير مرغوبة وخطرة،

لو أنها اتبعت طرقاً أخرى.

المسألة خطيرة فعلاً، كما اعترفت كاري وهي تشعر بالقلق العاطفي والذهني. غريزة حفظ الذات والذكاء الذي تملكه أعلماها أنها محقة باحتقارها لوك وكرهها له... لكن، اعترفت كاري باشمئزاز، أن جسمها يرفض الانصياع لأوامر عقلها. فجسمها ما زال يتجاوب مع لوك الرجل.

لو أن المسألة مقتصرة على تحمل زواج مناسب منه لبضعة أشهر لتحمي شقيقها، فهي واثقة أن بإمكانها أن تصر أسنانها وتتحمل، لكن التعقيدات المحتملة لتجاوبها الجسدي غير المرغوب فيه تجاه لوك غيّر كل شيء.

قررت بذعر أنها يجب أن تكلم لوك. يجب عليها إخباره أنها غيّرت رأيها، وإذا اضطرها الأمر فإنها ستتوسله كي لا يؤذي شقيقها هاري.

مع أن الوقت قارب منتصف الليل إلا أنها تعرف أن لوك يستغل الوقت المتأخر من الليل ومن الصباح الباكر ليقوم بأعماله. فهو يعمل في غرفة بجانب غرفة نومه حوّلها إلى مكتب خاص به.

مسيّرة بإحساس طارىء لا يمكنها تجاهله، فتحت كاري باب غرفتها، ومشت مسرعة في الرواق. خارج غرفة لوك وقفت مترددة لفترة، ثم أخذت نفساً عميقاً، وقرعت الباب.

٦ - انفجار يليه انفجار

علا العبوس وجه كاري حين لم تسمع إجابة لقرعها على الباب.

ربما... بدأت تشعر بالتوتر... وفجأة، فُتح الباب ورأت لوك يحدق إليها. بدا شعره مبللاً، وبدا واضحاً أنه كان يستحم لتوه وخرج حين قرعت هي الباب، لاحظت ذلك من نقاط الماء التي تجري على تجويف حنجرته نزولاً إلى الشعر الأملس الناعم الذي يغطي صدره قبل أن تختفي في رداء الحمام الذي يرتديه.

- كاري!

استدارت كاري بحدّة، لتخفي ما تشعر به.

- من كنت تتوقع؟ جينا؟

أصدرت شهقة غاضبة حين أمسكت يده القوية بمعصمها لتجرها إلى داخل الغرفة.

- أريد أن أقول لك شيئاً، لوك.

بدأت كاري بالكلام عندما دفع الباب ليغلقه، ما جعلهما عالقين معاً في خصوصية غرفة نومه.

لاحظت كاري أن رائحة الصابون وعطر ما بعد الحلاقة يفوحان منه. وأدركت أنها تغمض عينيها خجلة، مفضلة الاستمتاع بجرعة من الهواء الدافىء الذي يحيط به.

- ماذا الآن؟

سألها بسخرية متابعاً: «ألا يمكنك الانتظار حتى الصباح؟».

- كلا، لا يمكنني.

ردّت عليه كاري بحسم، مرحبة بالغضب المنقذ الذي أشعله موقفه في

www.liromancia.com

داخلها.

سيطر صمت غير ودّي وواضح عندما نظر إليها.

- لا أعرف لما بحق السماء تصرّ على إجباري على الزواج بك، لوك. في حين أن لديك عروساً جاهزة ومناسبة أكثر، لا تستطيع الانتظار لتضع يدها [illegible] وتأخذ دور حبيبتك... جينا.

بدأت كاري ترتجف من الداخل حين سمعت الانفعال الشديد في صوتها.

ضاقت عينا لوك وركز انتباهه عليها. بدت نظراته منذرة بالسوء، ما جعل كاري تدرك أنها ذهبت بعيداً في تصريحاتها. لكنها رفضت بتهور أي شعور بالندم يدفعها إلى التوقف.

- هي تريدك لوك!

أخبرته ذلك وتابعت: «أنا لا أريدك، و...».

قاطعها لوك بحدة: «اسمعي كاري، أرى أنك تتوقين للشجار. لكن دعيني أحذرك فأنا لست بمزاج جيد. إذا استمريت بإثارة غضبي بالطريقة التي تقومين بها الآن... حسناً! آمل أن تكوني جاهزة لتحمل العواقب».

بدأت كاري كلامها بغضب شديد: «إذا كنت تعني أنك ستستخدم كل خدعة ممكنة لتوقفني عن نيلي ما أريد...».

- لا!

أسكتها لوك قائلاً: «العواقب التي أعني هي ذلك الانجذاب الذي يحدث بيننا كل مرّة تدفعينني فيها إلى الحد الأقصى. والآن أنتِ في خطر لأنك قريبة جداً من هذا الحدّ. هناك شيء فيكِ كاري يدفعني إلى نقطة أصبح معها غاضباً غضباً شديداً، بل مجنوناً بالغضب... آه! انسي الأمر».

قال لها ذلك بفظاظة، تاركاً معصمها ومبتعداً عنها.

- أنسى الأمر؟

هزت كاري معصمها، ثم حدّقت إلى لوك متابعة: «آه! هذا نموذجي، أليس كذلك؟ تهينني ثم تقول انسي الأمر. نحن لسنا بارعين بنسيان الأشياء بارتياح مثلك لوك...».

- ماذا يفترض أن يعني هذا؟

سألها بصوت أجش. وعندما لم تجب، زم فمه من الغضب. وأردف يقول: «أسأل الله أن تكوني قد أزلت عنك آثار ذلك العطر اللعين قبل أن تأتي إلى هنا».

حدقت كاري إليه قائلة: «ما من شيء غير مرضٍ في عطري».

دافعت عن نفسها فوراً متابعة: «هو العطر نفسه الذي أضعه دائماً...».

- نعم، أعرف. اللعنة!

صرّ لوك على أسنانه غاضباً.

- ولمعلوماتك...

تابعت كاري قائلة: «أطرى العديد من الناس على عطري، وقالوا إنه يناسبني».

- أنا متأكد أنهم فعلوا ذلك. لاسيما إذا عنيت بالعديد من الناس الرجال الآخرين. يا الله! أنت بالتأكيد تعرفين كاري كيف تضغطين على الأزرار الخاطئة عندما أكون أنا المعني.

ردت بشكل لاذع فوراً: «حسناً! الشعور متبادل».

النظرة التي رمقها بها لوك ضربت على أعصاب كاري كصدمة كهربائية، لكنها كانت غاضبة جداً لتنتبه إلى تحذيراتها.

- لكن... الآن، ما من شيء... لا شيء، أريده أكثر من التخلص مما دفعتني إليه كاري، بالطريقة الوحيدة التي يمكن التخلص فيها منه.

راحت كاري تحاول أن تفهم تعبيره المبهم المنذر بالشر حين تقدم نحوها.

- لوك!

احتجت كاري برفض ودفاع عن النفس غريزيين. تشنجت أعصاب معدتها حين لاحظت فجأة الغضب الذي يحيط به، والطاقة الثائرة التي تنبعث منه، تلك الطاقة التي بدأت تلتف حولها بقوة.

اعترفت بذلك بضعف حين بدأ جسدها يستجيب له.

قالت لنفسها إنها ستقاوم، ستناضل وترفض الانشداد الجنوني لتوقها المدمّر. لكن بدلاً من ذلك، ما إن غمرتها ذراعاه، حتى شعرت كاري بنفسها تذوب، ترتعش وتغرق في عناقه، كما يغرق العصفور في عشه الدافء بعد

رحلة واجه فيها عاصفة هوجاء. شدت يداها بانفعال شديد على الثوب الذي يرتديه لتقترب منه أكثر فأكثر.

- لا! أنت لم تتغيري.

سمعته كاري يغمغم متابعاً: «ما زلت تثيرين جنوني كاري، تفعلين ذلك ببراعة لا تقدر عليها أي امرأة أخرى. هل هناك رجال كثيرون في حياتك كاري؟».

استطاعت كاري أن تلاحظ الغضب في صوته، إلا أنها تجاهلت سؤاله ولم تفكر إلا بذلك الدفء والشعور بالأمان اللذين تشعر بهما بين ذراعيه. بالطبع! فهي لن تخبره أن علاقتها بالرجال لم تتعدّ يوماً تناول عشاء برفقة أحدهم.

لم يستطع أي رجل تجاوز تلك الحدود التي رسمتها حولها، أو الطمع بالوصول إلى قلبها...

فجأة ابتعد عنها وراح يحدق في أعماق عينيها. لمحت كاري آثار الندم في نظراته وسمعته يسألها بنبرة قاسية: «ما الذي تفعلينه بي، كاري؟ إنك تدفعينني إلى ارتكاب حماقات قد أندم عليها في ما بعد».

لم تعرف كاري كيف ابتعدت عنه وخرجت مسرعة من الغرفة لتعود إلى الأمان الذي توفره غرفتها.

* * *

حدّقت بقلق إلى تعابير وجهها في المرآة في غرفة النوم. هل تبدو عيناها منتفختين كما تحسّ؟ أم أنها تمكنت من إخفاء تأثير عدم النوم بواسطة الزينة التي وضعتها للتو على وجهها؟

بالتأكيد بينيتا، خادمتها، لم تقل شيئاً حين أحضرت لها فنجان الشاي في الصباح وساعدتها كي ترتدي ملابسها. أخبرتها بينيتا بحماسة أن العمال بدأوا بتزيين المدينة تحضيراً للاحتفال بالعيد الخمسمئة للدولة والزفاف الملكي، أي زواجها من لوك.

شعرت كاري بالتوتر حين سمعت نقرة خفيفة على باب غرفتها. ركزت نظرها عليه حين فُتح ودخل منه لوك؛ إنه كما تعهده، مرتدياً زياً رسمياً أنيقاً

ونظيفاً.

- جيد... أنتِ هنا!

بدأ كلامه بطريقة جافة متابعاً: «اسمعي، كاري. بالنسبة إلى الليلة الماضية...».

- لا أريد التحدث بهذا الموضوع.

أوقفته كاري فوراً، ثم نهضت وأخذت تروح وتجيء في الغرفة كأنها تحاول إخفاء الكرب والانزعاج اللذين تشعر بهما. سألته: «من اعتقدتني، لوك؟ خليلتك!».

بالكاد تحملت أن تتنفس الهواء الذي يتنفسه، فكيف بالنظر إليه؟ حتى الصمت الذي ساد بينهما جعل أعصابها الباردة تجفل من الألم.

- تصرفت بطريقة... ربما لم يكن علي التصرف هكذا، أعترف بهذا.

اعترف لوك بهدوء متابعاً: «لكن لست أنا الملام كلياً... هل أنا الملام كاري؟».

شعرت كاري أنها غير قادرة على ضبط غضبها باستجابتها لعناقه. عرفت ذلك، لكن، لسبب ما أحسّت أنها لا تستطيع تحمّل الإذلال والألم.

- أنتِ دفعتني إلى ذلك كاري. أنت دفعتني وحركتني، وأنا تصرفت كما يتصرف أي رجل.

بدت كاري غير قادرة على الاعتراض على ما يقوله.

تابع لوك بتجهم: «أحذرك الآن... إذا كنت تتوقعين مني الاعتذار...».

شعرت كاري بموجة من الغضب القوي، فقالت: «ماذا؟ أنت لا تعتذر لشخص تافه مثلي؟ طبعاً لا! يا لها من فكرة بائسة!».

- أحد أسباب مجيئي للتحدث إليك هو أن عرّابتي جاءت لتراني هذا الصباح...

همهمت كاري بطريقة جافة: «هل أتت؟ أنا متأكدة أنها لم تأتِ لتهنئك على خطوبتنا».

لاحظت أن لوك يعبس في وجهها.

- آه، بربك لوك!

قالت له بانفعال متابعة: «هي تكره فكرة زواجي منك تماماً كما أنا أكرهها».

- كاري...!

بدأ يتكلم برباطة جأش، وما لبث أن توقف حين سمع كلاهما صوتاً مفاجئاً كالقصف انفجر خارج النافذة.

- ما هذا...؟

كان يمكن لكاري أن ترى بوضوح الدخان الذي يتصاعد من المرفأ.

أمرها لوك بإيجاز: «ابقي هنا!».

٧ - تمرد مفاجىء

مشت كاري بقلق على طول أحد الممرات في حديقة الفناء الخاصة المصممة بشكل جميل، ذهبت عدة مرات لتقف بجانب الحائط وتنظر من خلال النافذة المفتوحة على شكل قنطرة إلى المرفأ تحتها.

غادر لوك القصر منذ أكثر من ساعتين. وأثناء هذا الوقت، ظل القصر كله يغمغم ويضج بالتكهن عن سبب الانفجار القوي الذي سمعه الجميع في وقت مبكر. بدا بوضوح أن الانفجار دمّر أحد اليخوت الراسية على المرفأ، لكن ما من أحد يمكنه معرفة ما حدث بالضبط، ولماذا.

أحسّت كاري أن الحديقة التي هي عادة ملاذ للاسترخاء، تبدو مقيّدة كسجن. ماذا يحدث؟ أين هو لوك؟ فكّرت بالنزول إلى المرفأ بنفسها، لتكتشف ما يجري. في الواقع، قررت بتصميم أن تذهب إلى المرفأ، فعادت مسرعة إلى القصر.

كانت تمرّ بمحاذاة الأبواب المؤدية إلى الرواق الذي يؤدي بدوره إلى الجزء الذي يستخدم للمكاتب الإدارية والحكومية في القصر، حين فُتحت الأبواب وظهر لوك.

بدا جبينه ملطخاً بالوحل، وقد انتشرت على بذلته الأنيقة المظهر بقع من السخام الأسود.

- لوك!

نادته كاري وهي تقف أمامه ثم سألته: «ماذا يجري؟ يقولون إن يختاً انفجر في حوض السفن».

وافقها لوك بتهذيب قائلاً: «أجل».

شحب وجه كاري وصرخت بقلق قائلة: «إنه ليس يخت جاي، أليس

www.elromancia.com

كذلك؟».

زمّ لوك فمه فوراً وقال: «لا، ليس يخت ابن عمي... برغم أنني متأكد أنه سيسر إذا عرف كم أنتِ قلقة عليه. في الواقع، اليخت الذي نتكلم عنه هو لحسن الحظ فارغ. إلا أن ذلك لا يبطل خطورة هذه المسألة. لا أصدق أن الأشخاص الذين زرعوا هذه القنبلة التي أحدثت هذا الضرر لديهم أي نيّة في أذية أي شخص فعلياً، لكن...».

- قنبلة؟

دلّ صوت كاري على صدمة وعدم تصديق. قالت متابعة: «هل وضع أحدهم قنبلة في أحد اليخوت؟ لكن من بحق السماء يستطيع القيام بهذا العمل، هنا في سانت انتاندر؟ هذا التصرف لا يمكن التغاضي عنه. لطالما كانت حركات المحتجين والمعترضين سلمية حتى الآن، أليس كذلك؟».

كانت كاري تهز رأسها، غير قادرة على فهم ما يحدث، حين جاء جاي. مشى بخطى واسعة في الرواق متجهاً نحوهما، ومعلناً: «سمعت الأخبار للتو. كان عليّ السفر لحضور اجتماع عمل في زوريخ هذا الصباح وعدت للتو. أعتقد أنهم فجّروا يخت زورافي بسبب المقالات الصحفية السيئة التي ينشرها مؤخراً. هناك شكوك حول تورطه بالتعامل بالأسلحة. عليّ تحذيرك لوك، هناك خطورة في استضافة أولئك الممولين المبعدين من بلادهم، فوضعهم يجعلهم شديدي العصبية من غير ريب. ستكون أنت وسانت انتاندر معرضين للهجوم إذا...».

- أنا أدرك الخطر المحدق بي جاي.

سمعت كاري لوك يقاطع جاي بتهذيب متابعاً: «لكنني الآن لا أستطيع القيام بشيء على الإطلاق. بالطبع! هناك من يطالب بمطاردة الفاعلين وزجهم في السجن. أنا أعرف أنه يجب القبض على هؤلاء المسؤولين ومعاقبتهم على جريمتهم، لكن هذا تماماً ما يتمناه هؤلاء الشبان المعتوهين. بهذه الطريقة سيتحولون بين ليلة وضحاها إلى شهداء سياسيين، بدلاً من اعتبارهم مجموعة من مسببي المشاكل ليس أكثر. بالإضافة إلى أن ذلك سيؤلب لجنة حقوق الإنسان علينا، كما لو أن هذه المتاعب غير كافية...».

سأله جاي: «إذاً، ماذا ستفعل؟».

فجأة انفجر جاي بغضب شديد حين لم يلق رداً من لوك فقال: «آه! هيا، لوك! لا يمكنك تركهم ينجون بفعلتهم هذه».

ارتفع حاجبا لوك.

- حسناً! حسناً!

رجع جاي مباشرة إلى الخلف باسطاً يديه في إيماءة كأنه يعتذر، قائلاً: «أنت الرئيس هنا لوك، وما تقوله أنتَ يُنفذ».

- ربما كان هذا صحيحاً أيام جدي، أما الآن...

عبس لوك واستدار لينظر إلى الخارج من النافذة. بدت على ملامحه الحيرة، وظنت كاري أنه حتى نسي وجودها هناك.

قال جاي: «حجزت على رحلة إلى نيويورك الليلة».

ثم تابع قائلاً: «لدي اجتماع طارىء لا أستطيع التملص منه. لكن إذا كنت تحتاجني، أو كان هناك شيء أستطيع فعله لأجلك...».

راقبت كاري الرجلان يتعانقان، فيما يظهر الشبه بينهما بشكل مذهل، حتى إنهما يبدوان توأمين لمراقب عرضيّ. بعد رحيل جاي، استدار لوك ونظر إلى كاري قائلاً ببرودة: «قمت بترتيبات من أجل ذهابك إلى ميلان بعد غدٍ، ستحتاجين إلى ثوب زفاف مناسب، ويبدو أن هناك مصممين فقط مستعدان لتصميم ثوب الزفاف لك وتسليمه في الموعد المحدد. حُدّد لك موعد للحضور إلى معرضهما. أردت الذهاب معك بنفسي، لكن نظراً لهذه الظروف...».

موقف لوك المستبد أغضب كاري بشدة. لكن كلماته أرسلت إحساساً بالقلق الشديد في داخلها بسبب فكرة زواجهما القريب.

- بالطبع، لا يمكنك الذهاب الآن، ستكون منشغلاً إلى حدّ بعيد لترهب هؤلاء المتمردين. لكنك تحب القيام بالأشياء بهذه الطريقة، أليس كذلك لوك؟ رغم أن أسلوبهم الأخير غير مبرر، ألم يخطر في بالك أن لديهم هدفاً؟ أو أنك أنت المخطىء؟ بعض الأشخاص المحترمين من ذوي التفكير السليم سيروّعون و... يشمئزون من فكرة أن حاكمهم يدعم ويحمي أولئك الذين

كسبوا ثرواتهم بطرق ملتوية. لكنك لا تهتم بما يشعره ويحسّه هؤلاء الأشخاص، أليس كذلك؟ لم تهتم ولن تهتم مطلقاً.

- هذا يكفي!

صوت لوك الأجش حوّل هيجان كاري إلى رعشة صامتة.

- لمعلوماتك...

تابع لوك كلامه لكنه توقف عندما دُفعت الأبواب فجأة ودخل أحد مساعديه وقد ظهر عليه القلق، وأسرع نحو لوك.

- سمو الأمير، هناك رسالة من... من المتمردين. إنها موجّهة إليك...

أمره لوك يتجهم: «أعطني إياها!».

راقبته كاري بقلق حين فتح الرسالة التي تسلمها ثم قرأها. سأله كاري: «ماذا تقول الرسالة؟».

للحظة، ظنت أنه سيرفض الإجابة عن سؤالها. لكن بعد صرف المساعد الذي يحوم حوله قال بصوت مقتضب: «تقول الرسالة إن التفجيرات ستستمر إلى أن أوافق على شروطهم».

- شروطهم...؟

قبل أن تضيف شيئاً آخر فتحت الأبواب مرة ثانية. وهذه المرة دخل عدد من الأعضاء المسنين في مجلس الشورى، حيث سأل أحدهم بتهذيب: «سمو الأمير، هل هذا صحيح؟ هل تجرأوا فعلاً على تحديد مطالبهم؟ يا إلهي! لو حصل ذلك أيام جدّك لخسروا حرّيتهم بسبب اعتداء وحشي كهذا. لم يكن ليتسامح مع هذه الأفعال. إنها أعمال خيانة لوك! وبواسطة القانون...».

سمعت كاري لوك يحذّر الرجل الآخر بطريقة جافة: «اهدأ هنري، وإلا ستسبب لنفسك نوبة قلبية ثانية».

- ماذا عن احتفال الخمسمئة عام واحتفال زواجك، سمو الأمير؟

سأله رجل آخر بقلق متابعاً: «هل سيتم إلغاؤهما؟».

حبست كاري أنفاسها. هل سيسمح لها لوك بالهروب من هذه المسألة التي فرضها عليها، برغم كل شيء؟

تضرعت بصمت أن تتخلص من هذا العبء، لكن لخيبة أملها، رفض

لوك الإجابة بصراحة، ثم قال بهدوء: «نعرف أن هناك أسئلة دقيقة ومعقدة في هذه القضية هنا، ولهذا السبب أنوي أن أدعو إلى اجتماع لكافة أعضاء مجلس الشورى. في الوقت الحاضر، الرأي العام والشعب بحاجة إلى التأكد من أنهم بأمان، ولهذه الغاية سأعطي أوامر بالقبض على هؤلاء المتمردين المعروفين وسجنهم».

www.elromancia.com

٨ - أمنية أم ابتزاز؟

لم تصدق كاري أن الأسابيع الثلاثة مضت بهذه السرعة. ظلت طوال الوقت منشغلة بالمواعيد والأعمال شبه الرسمية التي كان عليها أن تحضرها بغياب لوك، بما أنه بقي خارج البلاد لمعظم الوقت. كان عليه الاهتمام بمسائل تتعلق بالعلاقات الدولية، لكنه عاد الآن من أجل زواجهما.

ارتعشت كاري قليلاً، فهي لا تريد التفكير بعدد الساعات التي أمضتها وهي تفكر به، كما أنها بالتأكيد لن تعترف بالساعات التي أمضتها مستيقظة، ليس فقط بسبب التفكير به، لكن...

قررت أن تحول أفكارها عن عواطفها الخاصة، لتركز عوضاً عن ذلك على خادمتها، إذ يظهر بوضوح أن بينيتا ليست في حالتها السوية.

سألتها كاري بنبرة ودية: «هل من خطب بينيتا؟».

كانت بانتظارها لتساعدها على ارتداء ملابسها من أجل حضور العشاء الرسمي الذي يقيمه لوك هذا المساء. لم تره كاري طوال الأسبوع، والمرة الأخيرة التي رأته فيها تشاجرا من جديد. خطر لها أن ترفض حضور عشاء الليلة، لكنها أدركت أن لوك قادر على اقتحام غرفة نومها وإلباسها ثيابها بنفسه، إذا رأى ذلك مناسباً.

سألت كاري خادمتها باهتمام: «تبدين شاحبة جداً بينيتا».

ثم تابعت قائلة: «هل أنت على ما يرام؟».

طفحت عينا الخادمة بالدموع، بينما ارتجفت شفتاها اللتان ضغطتهما بقوة محاولة ضبط انفعالها، وما لبثت أن بدأت ترتجف.

ألحت كاري بالسؤال قائلة: «بينيتا، ما خطبك؟».

- لا شيء... أنا... إنه...

هزّت بينيتا رأسها، وحاولت السيطرة على نفسها، لكن عواطفها غمرتها فقالت باكية: «إنه ابن عمتي... لقد قبضت عليه الحكومة وأدخلته السجن. إنه يشتبهون بأن يكون... لم يقصد أن يسبب أي أذى، إنه فقط يؤمن...».

توقفت قليلاً ثم تابعت: «إنه في السادسة عشرة من عمره، ووالدته... عمتي... هي أرملة. أنا خائفة جداً عليه...».

تأثرت كاري كثيراً بحزن خادمتها، فسألت بينيتا بتهور: «لماذا بحق السماء، لم تقولي شيئاً من قبل؟ ما اسمه؟ سأتكلم إلى لو... سموّه، وأحاول معرفة مكانه لأجلك».

تكلل وجه الفتاة فوراً بابتسامة مشعة من الإقرار بالجميل، بينما أدركت كاري متأخرة ما فعلته. مع ذلك، فات الأوان الآن لتندم على تهورها.

اختارت كاري ثوبها لحضور العشاء باهتمام. بدت مستعدة تماماً لأن تفعل لأجل خادمتها ما لم تحلم بالقيام به لأجلها هي نفسها. أرادت خلق الانطباع الجيد لدى لوك، آملة بأن يجعله ذلك في مزاج جيد فيغدو منفتحاً ويوافق على استئناف الدعوى لمصلحة ابن عمة بينيتا الشاب.

عزمها الرائع على حسن التصرف استمر فقط إلى أن تفاجأت باكتشافها أن الكونتيسة هي أحد المدعوين.

بالكاد سمح الوقت لكاري بأخذ رشفة من العصير الذي قُدم قبل العشاء قبل أن تندفع الكونتيسة نحو لوك، وهي تزمّ شفتيها رافضة ما يجري.

- إذاً، لوك! ماذا ستفعل بهذه المسألة المخزية؟ بالطبع، ستلغي الزواج واحتفالات الخمسمئة عام. إنها ببساطة لن تكون آمنة. كيف ندعو الأجانب وأصحاب المقامات الرفيعة في حين أنهم مهددون بأن يتحولوا إلى أشلاء في أي لحظة على يد هؤلاء المجرمين الخطرين؟ إنهم مصممون على هدم كل ما عمل جدّك جاهداً لتحقيقه.

قبل أن تتمكن من منع نفسها، اعترضت كاري بعنف قائلة: «مع أنني أعارض بحزم بعض الطرق التي يتبعها هؤلاء الشبان، إلا أنني أؤمن بقوة أن معظم هؤلاء المتمردين ليسوا مجرمين. هم ببساطة مجموعة من الناس ذات

قناعات مثالية وأخلاقية. وبصراحة، حقاً...».

- ماذا؟ أنت تدعمينهم كاري؟

قاطعتها الكونتيسة بغضب شديد، ثم تابعت موجهة كلامها إلى لوك: «هل سمعت هذا لوك؟ آه! هذا متوقع في النهاية... أتدرك الآن لما هي غير مناسبة لتكون زوجة لك؟».

رق فم الكونتيسة وأكملت تقول: «بما أنني عضو في الطبقة الحاكمة لهذه الدولة لوك، أنا فقط أتأسف بشدة لما يجري. لكن كعرابة لك... أنا أشعر بالارتياح لأن هذه الحادثة المؤسفة كشفت أن من المستحيل أن تتزوج بهذه... هذه المرأة. يجب إلغاء الزواج فوراً والإعلان عن إنهاء خطوبتك».

لاحظت كاري بحذر أن النظرة التي منحها إياها لوك يمكنها أن تقطع الزجاج، وذلك حين حوّل قوة نظرته القاسية المستنكرة إليها قبل أن يستدير لينظر إلى عرابته.

لا بأس! ستنال حريتها على الأقل. اعترفت كاري في سرها، حتى لو نالتها بمساعدة المرأة التي تنفر منها. سمعت كاري لسعة الغضب في صوت لوك حين أجاب عرّابته: «أنا أقدّر اهتمامك، عرابتي. لكن أنا آسف، لأن الزواج لن يُلغى. سوف تتم الاحتفالات والزواج في موعدهما».

أضاف لوك بتهذيب، متجاهلاً الغضب وعدم التصديق الظاهر على وجه الامرأتين المحدقتين إليه: «آخر ما تحتاجه البلاد الآن الهلع الذي سينشأ بسبب إلغاء أحد الاحتفالين. في الواقع، إن هذا الوقت هو أنسب من أي وقت آخر لإجرائهما».

انتهى العشاء وغادر المدعوون، وبقيت كاري ولوك لوحدهما في صالة الاستقبال الخضراء. كانت على وشك الهروب عندما بدأ لوك كلامه.

- أرى بوضوح أنك لا تحبين عرابتي، كاري. لكن طريقة كلامك معها في وقت مبكر من هذا المساء لم تكن لبقة.

منحت كاري لوك نظرة قاسية غير ودية.

- إذا أردت رأيي، هي لا تستحق المعاملة بلباقة.

أخبرته كاري ذلك بحدة، وتابعت: «لي كل الحق بآرائي الخاصة، ولن

أغيّرها لأجلك أو لأجل أي شخص آخر. يمكنك أن تجبرني على الزواج بك، لكن ما من طريقة يمكنك بها إجباري على تغيير أسلوب تفكيري وإحساسي».

- وهل قلت لك إنني أريد تغييرهما؟

تعليقه الناعم فاجأها.

ردت كاري بسرعة: «حسناً! أنت بالتأكيد تريد تغيير كل ما فيّ».

أمسكت تنورة ثوبها وأضافت باستخفاف: «ثيابي...».

اقترح لوك بسخرية: «طبعك... عنادك الذي لا يصدق... أجل، بالتأكيد. أود رؤية بعض التغييرات فيك إذا استطعنا القول. لكن هناك أوجه أخرى في شخصيتك... أعترف أنها رائعة».

حدّقت كاري إليه. إطراء من لوك... ولما؟ هذا آخر شيء تتوقعه. نظرت إليه بحذر، ثم سألته بارتياب: «أية أوجه تقصد؟».

رماها لوك بنظرة مختصرة لم تستطع تحليلها، قبل أن يجيب بهدوء: «دفاعك عن المضطهدين، نصرتك للقضايا الإنسانية، شفقتك على أولئك الذين هم أقل حظاً منك».

نظرت كاري إليه بدهشة فاغرة فمها. أيحبّ لوك شيئاً فيها حقاً؟ أيستحسن ويقدّر أشياء فيها؟

إحساسها بسرور طائش سُحِق بسرعة حين أضاف لوك ببرودة: «هذه صفات ممتازة في رفيقة رجل في مثل مركزي. زوجة متعاطفة لا تعوّض عندما يكون الشخص...».

قاطعته بحدة: «لن أكون رفيقتك ولا زوجتك».

ثم أردفت بسرعة: «أنا سأكون المرأة التي ستتزوج بها لا غير».

ارتفع حاجبا لوك فوراً وسأل بطريقة جافة: «وهل من فرق؟».

لم تشأ كاري أن تُدفع إلى التنازل، لذا قالت بحدة: «نعم، هناك فرق. فالمرأة التي تتزوج هي فقط ذلك. لكن الزوجة هي...».

حين رأت الطريقة التي ينظر فيها لوك إليها توقفت في منتصف كلامها، لتتابع بعد تردد: «أنت تعرف ما أعني».

وما لبثت أن دمدمت بغضب: «بأي حال. هناك شيء أريد أن... أن أسألك عنه، لوك».

قالت له ذلك حين بدأ الحديث يخرج عن سيطرتها، ما جعلها متلهفة لتهرب إلى غرفتها. لكن قبل ذلك تذكرت وعدها لبينيتا.

أخبرته ما قالته لها بينيتا، ثم انتظرت جوابه وهي تحبس أنفاسها.

- ماذا تتوقعين مني أن أفعل بالتحديد؟

سألها بقسوة متابعاً: «هل آمر بإطلاق سراحه، فقط لأن خادمتك هي ابنة خاله؟ بالرغم مما تعتقدينه كاري، فإن سلطتي ليست مطلقة. هناك قوانين في هذا البلد يجب علينا احترامها».

- لكنه في السادسة عشرة من عمره فقط!

أخبرته كاري بذلك بعناد، قبل أن تردف قائلة: «حتى إن عائلته لا تعرف أين هو، ولم يُسمح لهم بالتكلم إليه. تقول إن هناك قوانين لوك. حسناً! إن أي دولة حديثة لا تسمح بسجن أشخاص في السادسة عشرة من العمر دون إخبار عائلاتهم... أو على الأقل السماح لهم بالتكلم مع أولادهم. ما يحصل هنا هو مساوٍ للإساءة لحقوق الإنسان، وإذا أردت رأيي فهذه الجريمة يجب أن تعلن. في الواقع، لو أنني صحفية ولست خبيرة اقتصادية...».

توقفت عن الكلام عندما نظر لوك إليها قائلاً بلطف: «إذا كان هذا تهديداً، كاري...».

سمعت كاري بما فيه الكفاية. انفجرت قائلة: «آه! فهمت. يرضيك أن تهدد... تستأسد... لتبتزني. أليس كذلك؟ لكن ما إن تشعر أنك حُشرت في الزاوية حتى تقلب كل الموازين. رغم أنك أنت المخطىء...».

- هذا الموضوع هو أكثر من مجرد ثأر شخصي.

قاطعها لوك بتهذيب متابعاً: «هناك قضايا تتم المراهنة عليها هنا، كاري. وهي أبعد بكثير منك ومني».

نظرت إليه كاري بعناد لكنها لم تنفوه بكلمة. وسمعت لوك يصدر صوتاً لم تعرف أهو تنهيدة غضب أم استسلام.

- حسناً!

وافق بتجهم متابعاً: «ما اسم هذا الشاب؟ يمكنك إخبار خادمتك أنني سأبذل قصارى جهدي لأعرف أين هو، وأتأكد من أن عائلته تبلغت بمكان وجوده. لكن هذا كل ما سأفعله كاري».

أطلقت كاري تنهيدة تدل عن عدم الثقة، وأعطته اسم الشاب.

- مقابل هذه الخدمة التي أقدمها لك...

أكمل لوك بنعومة: «... هل تعتزمين تقديم ما أطلبه منك؟ تاريخياً، إذا صدّقنا أفلام هوليوود على الأقل، هناك طريقة واحدة للتعامل بين رجل وامرأة تحت ظروف مماثلة. إذاً ماذا تساوي حرية هذا الشاب لك كاري؟ عناق حميم... اثنان؟».

حدّقت إليه كاري غير مصدقة. وأكّدت له بضعف: «أنت لا تعني ما تقول!».

ظللت وجه لوك نظرة مشككة، وأضاف قائلاً: «بالكاد. رغم كل شيء، أعرف أنها مكافأة لا قيمة لها، بما أنك أعطيتها مسبقاً للكثير من الرجال».

٩ - اعتراض أم اعتذار

أعاد لوك سمّاعة الهاتف إلى مكانها، ومشى إلى نافذة مكتبه الخاص. من خلال هذه النافذة يمكنه رؤية الفناء تحته، حيث كانت كاري تسرّع خطواتها على أحد الممرات المفروشة بالحصى المزخرف. إنها، كما عرف لوك، قد انتهت للتو من القياس الأخير لثوب الزفاف. حركة جسدها ذكرته بهرّة مليئة بالانفعال والنشاط.

الاتصال الهاتفي الذي أجراه كان مع صديق قديم وأحد الأقرباء البعيدين للعائلة. زوده الرجل ببعض المعلومات التي تتعلق بالقضية التي يواجهها.

- إنها قضية عسيرة جداً، لوك.

تابع قائلاً: «كما يبدو، أنت حقاً واقع في مأزق حرج: محكوم عليك بالإدانة إذا وافقت، ومحكوم عليك بالإدانة إذا لم توافق. إذا جاز التعبير. أنا أعرف أنك شخصياً تتعاطف مع مشاعر هؤلاء المتمردين. لكنك لا تستطيع الإعلان عن ذلك. لكن لسوء الحظ، ما زال بعض المنتفعين المتبقين من أيام جدّك مدسوسين في سراديب سانت انتاندر، وهم لن يقبلوا بأن يُطردوا. ومن المحتمل أنهم يشكلون إحدى المجموعات الخطرة، والتي هي أكثر خطورة من هؤلاء المتمردين».

وافق لوك بانفعال: «نعم، أخبرني المزيد».

تردد محدثه قليلاً، ثم قال: «سمعت أنك مستمر بالتحضير لاحتفالات الخمسمئة عام والزواج. أنا لست متأكداً إن كان هذا القرار صائباً. سانت انتاندر هي دولة صغيرة، وتخريب الأمن فيها لا يتطلب سوى... تفجير انتحاري واحد».

ساد صمت بينهما قبل أن يجيب لوك بطريقة جافة: «شكراً».

- أموالي كلها تحت تصرفك، لوك.

أكد له صديقه متابعاً: «أنا أعرفك لوك. سوف تجد طريقة لتتعامل مع هذه المسألة».

الآن، حين تذكر لوك كلمات صديقه المحزنة، اكفهرت سيماء وجهه قليلاً، وتابع مراقبته لكاري. الغضب المتقد الذي هو جزء من شخصيتها يظهر جلياً في ردة فعلها وهي في وضعها هذا.

كغيره من الشبان، راودته ذات مرة أحلام مثالية، لا يمكن تحقيقها، هو وكاري...

تدفق الأفكار والذكريات غير المرغوب بها، جعله يعبس. أليس لديه ما يكفي من الهموم التي تشغله؟ ألم يقم هؤلاء الأوصياء الصارمون بتثقيفه وتربيته على أنه حاكمٌ أولاً قبل أن يكون رجلاً؟

أحسّت كاري بألم في رأسها، بعد أن أضجرتها خادمتها وهي تغني أغانٍ ملؤها التمجيد بلوك بسبب شفقته وإصداره أوامر بوضع جميع المتمردين تحت الإقامة الجبرية بدلاً من إبقائهم في السجن، بالإضافة إلى ضجرها من سماع الناس يتكلمون بحماقة، ودون توقف عن الزفاف، كما لو أنه أمر تنتظره هي بفارغ الصبر، وليس قصاصاً فُرِضَ عليها. فكرت كاري بذلك بغضب شديد وهي تتمشى ذهاباً وإياباً في حديقة الفناء الخاصة.

لقد أمضت الصباح كله وهي تنخز وتدبّس تحت أنظار العيون الناقدة للمصممين القادمين من دار الأزياء، والذين وافقوا على الإسراع في تحضير ثوب الزفاف لها بالإضافة إلى الأثواب الخاصة بمرافقاتها العشر اللواتي سيرافقنها أثناء حفل الزفاف. وهذا المساء سيأتي المزين وأخصائي التجميل ليقوما بتجربة تسريحة الشعر وزينة الوجه المناسبتين لثوب زفافها.

الزفاف! ردّت كاري شعرها عن وجهها بانفعال، فبعد ثلاثة أيام ستتزوج هي ولوك.

في كل ليلة تصلي لأن يحدث شيء ما ويمنعها من هذا الرابط، وفي كل صباح تستفيق لتجد أن صلاتها لن تستجاب.

الآن، تبدو البلاد كلها وكأنها ثائرة باهتياج شديد، تحضّر لاحتفال الخمسمئة سنة والزفاف. هذا الصباح بالذات، أخبرت بينيتا كاري بفرح أن كل شخص تعرفه إما يقيم حفلة أو يذهب لحضور حفلة، احتفالاً بالحدث المزدوج.

سألتها كاري بطريقة جافة: «ماذا؟ حتى المتمردين؟».

- آه! أجل.

أجابت بينيتا بذلك بمرح قبل أن تجفل قليلاً ثم تعترف: «صحيح أنهم لا يوافقون على بعض الأشياء في السياسة الحالية للبلد...».

رفعت كاري حاجبها لكنها لم تقل شيئاً.

- حسناً! بعد ثلاثة أيام فقط ستصبحين «سمو الأميرة».

صوت ابن عم لوك حمل كاري على الاستدارة. تغيّر وجهها إلى ابتسامة دافئة حين رحّبت به.

- جاي! متى عدت؟ اعتقدت أنك ما زلت في نيويورك؟

- وصلت إلى نيس هذا الصباح.

أخبرها جاي مضيفاً: «أنا في طريقي لرؤية لوك. يبدو لي أنك خسرت وزناً. آه! لا تنحفي كثيراً، فالرجل يحب المرأة التي تتمتع بالأنوثة. انتبهي! مع أنك...».

توقف عن متابعة كلامه، ثم هز رأسه وتابع: «لوك رجل محظوظ جداً».

ضحكت كاري وقالت: «يا لك من متملّق!».

صحيح أن لوك وجاي يتشابهان جداً إلى درجة أنه يستحيل التمييز بينهما من مسافة بعيدة، لكنها بإحساسها تعرف التمييز بينهما. بالنسبة إليها جاي هو مجرد صديق، لكن لوك... تستجيب أحاسيسها إلى لوك بطريقة لا تحصل مطلقاً مع رجل آخر؛ لم تحصل ولن تحصل أبداً!

أثناء مراقبة جاي وهو يسرع متجهاً لرؤية لوك، اعترفت كاري بالحقيقة غير المرغوبة التي تحارب لإنكارها منذ تلك الليلة التي عانقها فيها لوك عناقاً حميماً، يومها فجّر الدفاعات المبنية بعناية حول قلبها والتي استمرت بتعزيزها طوال سنوات ابتعادهما عن بعضهما.

إنها تحب لوك... تشتاق إليه... تتألم لأجله... تريده بطريقة أقوى من أي وقت آخر. حملت نفسها على التفكير بأشياء ليس عليها التفكير بها. حملت نفسها على ملاحظتها والاعتراف بها؛ ما زالت تحبّ لوك وهو ما زال يحتقرها!

- إذاً، ما زلت مستمراً بالتحضير لكل شيء؟

أومأ لوك برأسه بتهذيب حين واجه ابن عمه من الجانب الآخر لطاولة المكتب اللماعة.

- ليس لدي أي خيار آخر.

أضاف لوك: «أرسل المتمردون إنذاراً، إما أن أعتبر هؤلاء المودعين الذين لا يوافقون عليهم خارجين عن القانون، أو أتنازل عن العرش».

أصدر جاي صفيراً طويلاً.

- تجرأوا على شنّ هذا النوع من التحدي؟ لم أدرك أن الأمور ذهبت بعيداً بهذا الشكل.

- تصعّدت المسألة بأسرع مما توقعت.

اعترف لوك بذلك، ثم أردف قائلاً: «قد أكون مخطئاً، لكنني أشك بأنهم يتلقون الدعم المالي والسياسي من فريق ثالث. أشخاص من المحتمل أن يكون لديهم سبب خاص لرؤيتي أنهار. ذلك بالتأكيد يفسّر سبب ظهور هذه الوسائل الإرهابية المفاجئة مقابل المظاهرات السلمية الكلامية إذا صحّ التعبير».

بينما كان لوك يتكلم منح جاي نظرة هادئة رزينة.

علّق جاي: «أنا... حسناً! لم أسمع شيئاً من مصدر دولي. في الواقع، رأيت كاري خارجاً».

حاول تغيير الموضوع، وأضاف: «ألم تعرف حتى الآن ما يجري؟».

أجاب لوك بإيجاز: «لا!».

ثم عاد فتابع قائلاً: «ولا أريدها أن تعرف. عقدت بعض الاجتماعات السرية خارج سانت انتاندر للبحث في إمكانية إيجاد حل دبلوماسي سري».

ألح جاي عليه: «وإذا لم تجد حلاً؟».

وحين لم يسمع جواباً من لوك، أضاف قائلاً: «سأخبرك بصدق، لوك. هذه الدولة سوف تخسر الكثير من الدخل الحكومي إذا لم تتحسن الأمور. ومع التعهد الذي قطعته لشعبك بتحسين التعليم والعناية الطبية لن تستطيع تحمل ذلك».

أجابه لوك بحدة: «وفر عليّ المحاضرات، جاي».

- آه! كدت أنسى. طلبت مني جينا تبليغك رسالة.

عبس لوك قائلاً: «سبق أن تكلمت معها».

- وماذا حصل؟

نظرة جادة جعلت عيني لوك قاتمتين ما دلّ بوضوح أنه لم يستمتع بسؤال ابن عمه.

- عُرض عليها دور ذو أهمية في فيلم يُتوقع له النجاح. نصحتها أن تقبل العرض، ستغادر سانت انتاندر الليلة.

علّق جاي باستخفاف: «يمكنك أن تكون شخصاً قاسياً لا يرحم عندما تريد ذلك، أليس كذلك؟».

لم يُجب لوك. ما من سبب يجبره على إعلام ابن عمه بأن «العلاقة الغرامية» المزعومة مع الممثلة ليست أكثر من عمل دعائي تم بناء على مناشدة من جينا لتلفت انتباه الصحافة إليها. أما هو فناسبه التعاون مع ادّعائها، حتى إنه تسلى بطريقة ما لملاحظته أن خطوبته جعلت جينا تتصرف كما لو أنهما في الحقيقة حبيبان. من المؤكد أنها لعبت دور الحبيبة المخذولة الثائرة غضباً بطريقة حماسية ميلودرامية، وكانت له أسبابه الخاصة للسماح لها بالقيام بهذا الدور. لكنها في الواقع النقيض التام لكل ما يحبه لوك في المرأة.

كل ما يحبه في المرأة! مشى إلى النافذة بشكل آلي ونظر إلى الفناء تحته... ذهبت كاري وبدا الفناء فارغاً! أخفض لوك أهدابه ليحجب التعبير الذي ظهر في عينيه فهو وحده يدرك حقيقة مشاعره.

ما إن دخلت كاري إلى صالة الاستقبال الخضراء حتى سمعت رنين هاتفها النقال. أدركت أن المتصل هو شقيقها هاري، لذا ترددت لثانية قبل أن تجيب. لن تفسد سعادته هو وماريا البتة بإخبارهما ما حصل لها، وكيف

دفعها لوك إلى الزواج به عن طريق ابتزازها.

أخذت نفساً عميقاً وأجبرت نفسها على الابتسام حين لفظت اسم شقيقها.

- كاري، لن تحزري ما حصل!

انفجر هاري بحديث مثير وسرعان ما تابع: «بينما كنا ماريا وأنا في شهر العسل، تكلمنا بجدية حول موضوع... حسناً! إنها قصة طويلة. بالاختصار سوف أتخلى عن عملي في المدينة، سنبحث عن مزرعة لشرائها. أنت تعرفين كم أرغب في ذلك».

عرفت كاري أن هذا صحيح، لكن ماذا لو...؟

قاطعته بحذر: «هاري! أنا أفهم ما تقول، لكن كلفة هذا المشروع... أنت لا تملك المال و...».

- آه! لا تحتاج للقلق بشأن المال، فماريا تملك وديعة مالية ضخمة من أهلها.

تخللت صوته بسمة متساهلة حين أضاف: «إنها فتاة واعية، لم تفشِ هذا السر لأي شخص لأنها لا تريد أن يطاردها أي صائد ثروات مبذر. يا إلهي! لا يمكنك أن تتصوري كيف أشعر لمعرفتي أنه يمكنني التخلي عن هذه الوظيفة التافهة. لم أحبها أبداً... أنت تعرفين ذلك. حصل كل شيء عندما كنا مسافرين. لاحظت ماريا أنني قلق بسبب شيء ما، وعندما أخبرتها... حسناً! لو لم أكن أحبها بجنون قبل الآن... هي فتاة رقيقة جداً ومتفهمة. قالت إنها بأي حال لم تحبذ فكرة عملي في المدينة. هي تريد عائلة... كلانا نريد عائلة، لذا سنحاول إيجاد مكان مناسب. على فكرة اتصل بي أبي منذ بضعة أيام. يظهر أنه وليز في رحلة بعيداً عن المنزل وسيمضيان عدة أسابيع. أين أنتِ كاري؟».

فتحت كاري فمها لتتكلم، وأحسّت أن عليها أن تتنحنح قبل ذلك.

- أنا...

- أنت تعملين؟

هذا ما خمنه هاري قبل أن يتابع: «حسناً! سأختصر المكالمة. آه، كاري.

أنا سعيد جداً... كأنني في حلم. قلبت ماريا حياتي رأساً على عقب. أحببتها، تزوجتها... أنت تعرفين أكثر من أي شخص آخر أن عملي في المصرف لم يحقق أي نجاح لي. ولولا دعمك وإرشادك لأصبحت فاشلاً تماماً. أنا لا أشبهك، ولا أشبه أبي... أعتقد أني أشبه أمي، فأفراد عائلتها كانوا مزارعين بالأصل. أليس كذلك؟ آه! ماريا تقول... آه. اللعنة سينقطع الاتصال. فرغت البطارية. حبي وقبلاتي...».

نظرت كاري إلى الهاتف أثناء اختفاء صوت شقيقها بعد سلسلة من الأصوات المتقطعة التي تبعها صمت تام.

بعد قليل اكتشفت أنها ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها بسبب تأثرها.

إنها ترتجف من الارتياح بالطبع، لأنها الآن لم تعد مجبرة على الزواج من لوك. لم يعد يملك القدرة لأذية هاري. يمكنه تحطيمها مهنياً دون شك، لكن باستطاعتها التدرب من جديد على مهنة مختلفة. هي ما زالت شابة، وبالتأكيد أي شيء هو أفضل من أن تُجبر على الزواج رغماً عنها، والعيش في تعاسة مدى الحياة. يمكنها الرحيل الآن، الآن في هذه اللحظة... في هذه الثانية. كانت كاري تفكر ملياً بنتائج ما اكتشفته الآن عندما رأت الكونتيسة تدخل وتمشي نحوها.

سألت بتعجرف: «أين لوك؟ أريد أن أتكلم معه فوراً».

- آسفة، لا أعرف. وحتى لو كنت أعرف...

أخذت كاري نفساً عميقاً، مذكرة نفسها أنها لم تعد في الثامنة عشرة. تابعت كلامها بهدوء ووضوح: «أتساءل إن كان أحدهم قد أخبرك كم أنتِ بغيضة ومتغطرسة تجاه الآخرين. أم أنك تعتمدين على حقيقة أن الناس يخشون مواجهتك؟».

وقفت الكونتيسة لبضع دقائق تحدق إلى كاري بغضب. ثم صرخت بقوة بعد أن استوعبت الصدمة: «عرفت ذلك... أنا أعرف منذ البدء من أنت. ما من امرأة شابة مهذبة تلقت تربية جيدة تتكلم بهذه الطريقة مع شخص يكبرها سناً. إذا كنت تعتقدين أنك تملكين حصانة لأنك خطيبة لوك، دعيني

أخبرك أنه بعد ما سأخبره به عنكِ، لن يجعلك زوجته أبداً».

شدّت الكونتيسة شفتيها ماخة كاري نظرة انتصار وقالت: «لا تتصوري مدى ارتياحي عندما علمت أن شكوكي نحوك صحيحة. تطلب الأمر الكثير من الإصرار والكثير من المال لاكتشاف الحقيقة. لا شك أنك اعتقدت أنها دُفنت بأمان، وأن لا أحد سيعرف سرّك، لكنني اكتشفت ذلك».

شعرت كاري بقشعريرة مميتة على طول عمودها الفقري.

- أليس لديك شيء تقولينه؟

وبختها الكونتيسة بطريقة ساخرة متابعة: «حسناً! أنا متأكدة أن لوك ستكون لديه أشياء كثيرة ليقولها حالما أخبره بعض الحقائق عنك».

راحت عينا المرأة المسنة تبرقان بالنصر والحقد، ما جعل كاري تشعر بالغثيان الشديد. متظاهرة باللامبالاة كنضال لحماية نفسها، جعلت كاري صوتها يبدو رافضاً قدر الإمكان حين هزّت كتفيها قائلة: «يمكنك إخباره بما تريدين. لا أهمية لذلك عندي».

- ماذا؟ هذا التعليق يؤكد أنك مخلوقة تافهة، وأنك لا تصلحين مطلقاً لأن تكوني زوجة لوك.

قالت الكونتيسة ذلك بتعجرف، ثم أعلنت بطريقة مسرحية: «لو كنت مكانك لأحنيت رأسي بخجل، واختبأت بعيداً عن الناس...».

غمغمت كاري باشمئزاز: «ليتني أستطيع ذلك».

بيرودتها جعلت وجه الكونتيسة قرمزي اللون من الغضب.

- أنتِ عار على جنس النساء.

استدارتا معاً نحو الباب حين فُتح، ودخل لوك قائلاً: «كاري... عزّابتي...».

أعلنت الكونتيسة: «لوك! هناك أمر يجب أن أخبرك به».

أسرعت نحو لوك وهي ترمق كاري بنظرة حاقدة، ثم قالت: «لا يمكنك الزواج بهذه المرأة الحقيرة، أنا عرفتها على حقيقتها منذ البداية. منذ كنت... والآن لدي البرهان على ذلك».

انصرفت من جانب لوك، ونظرت إلى كاري نظرة انتصار ثم تابعت:

«هل اعتقدتِ أن لا أحد سيكشف ما حصل معك في الماضي؟ شركة الاستقصاء السرية التي استخدمتها كانت بارعة جداً».

عرفت كاري ما ينتظرها وما سيأتي، لكنها تشبثت بقوة بكبريائها ورفضت إظهار أي ردة فعل.

الكونتيسة محقة بشيء واحد. اعتقدت كاري أن ما حصل في الماضي وجرحها في العمق قد دُفن وانتهى وأنها حاربت تلك الشياطين و... ربحت. ربحت التحرر من الاعتراف بأخطائها ودفنها بلطف لترتاح. ربحت الحق بالطمأنينة. ربحت الحق باستعادة احترامها لذاتها. والآن ها هي الكونتيسة، على وشك أن تنتزع هذه الحقوق منها... لشدة كدرها، خذلها تمالكها لنفسها فجأة، وبدا صوتها أجش عندما توسلتها بانفعال: «لا...! لا...! لا يمكنك ذلك».

قالت الكونتيسة للوك بابتهاج: «أترى؟ هي تعرف ما سأكشفه لك لوك. هي بذاتها تحكم على نفسها».

كررت كاري: «لا...! لن تفعلي ذلك».

لكن الآن جاء صوتها أقوى وكذلك عزمها. التقت نظراتها بنظرات الكونتيسة القاسية.

مع ذلك تجاهلتها الكونتيسة معلنة للوك: «هذه المرأة مجنونة. أمضت فترة في مصح للأمراض العقلية والنفسية. لا يمكنك الزواج بها لوك».

خيّم صمت غريب على الغرفة. لكن كاري لم تحنِ رأسها خجلاً بل رفعته بفخر، وقالت بهدوء: «هذا غير صحيح».

في داخلها شعرت كأن أحشاءها تتمزق، كما لو أن مشاعرها الحميمة قد كُشِفت. لكنها لن تفسح المجال لأي من المتفرجين بالاستمتاع برؤيتها.

- رأيت نسخاً عن كل الوثائق الطبية.

كشفت الكونتيسة ذلك مضيفة: «تظهر هذه الوثائق بوضوح أنكِ كنت نزيلة ذلك المصح. جميعنا سمعنا عن نوع الحياة المستهترة التي عاشتها بعد رحيلها من هنا. حتى إنها كتبت لوالدها متباهية بذلك. ألا يدل ذلك على ذهنية مريضة لديها؟».

- لا!

كررت كاري بعنف قائلة: «الأمر ليس كذلك!».

- إذاً، كيف هو الأمر؟

سألها لوك بقسوة. وكانت تلك المرة الأولى التي يتكلم فيها. استدارت كاري لتنظر إليه... بدت عيناها غامضتين ومترددتين.

- أتريد حقاً أن تعرف؟ أتريد ذلك حقاً؟

تحدّته كاري بغضب شديد متابعة: «حسناً! سأخبرك. أصبت بانهيار عصبي بعد أن طُردت من قصرك طرداً».

بالكاد سحبت كاري النفس المتحفظ أو نظرة الصدمة في عيني لوك حين تابعت بمرارة، غارقة في آلام ماضيها: «لم أشأ أن يعلم أبي بالأمر... تحملت الألم والعذاب وحدي... اسودت الدنيا في عيني... أنا حتى لم أعرف... بقيت دون طعام أو شراب لأيام... لم أدرك ما أفعله بنفسي لشدة حزني... ولو لم تجدني إحدى صديقاتي وأنا في حالة إغماء لفارقت الحياة».

من خلال اليأس وألم الجرح غير الملتئم، الذي اعتقدت كاري أنه انتهى منذ وقت طويل، طويل جداً، سمعت لوك يقول بنبرة جافة: «من فضلك، دعينا وحدنا عرابتي».

- لوك، لا تستمع إليها... إنها تكذب...

بدت الكونتيسة مصرّة، لكن لوك سحبها نحو الباب متجاهلاً اعتراضها، ففتحه ثم أغلقه ثانية خلفها.

سأل لوك بصراحة حين عاد إلى كاري: «لماذا لم أعلم أبداً بهذا؟».

لم تستطع حمل نفسها على النظر إليه. إنها لا تحتمل العودة أكثر إلى الماضي، إلى العذاب المدفون هناك.

- لماذا؟ لماذا برأيك؟ بعد الطريقة التي عاملتني بها؟

بدأت كاري بحدة متابعة: «هل أنت متفاجىء بأنني لم أشعر...؟».

قاطعها لوك بطريقة جافة: «لقد عانيتِ بسببي! كان يجب أن أعرف بالأمر».

أطلقت كاري تنهيدة قاسية قبل أن تقول: «لم تعد حياتي هي نفسها، حتى إنني لم أعد أنا نفسي».

نظرت بعيداً عنه، متذكرة كيف ألحّ عليها الطبيب لكي تتصل بوالدها، لكنها رفضت خشية أن يعلم لوك بحالتها.

قيل لها: «أنت تحتاجين إلى دعم كل من حولك».

ردّت كاري قائلة: «أبي لن يحتمل ذلك، ولوك لن يهتم».

في النهاية بكت كاري لوحدها، وبعد إصرار مرشد الطلبة في الجامعة، الذي لاحظ تفاقم حالتها النفسية وافقت على متابعة العلاج النفسي.

- ما عنيته هو أنه كان يجب عليك إخباري بحالتك، فلو أنني علمت... عندئذٍ...

- عندئذٍ ماذا؟ أكنت ستعيدني إلى هنا وتستأنف علاقتك بي؟

هزت كاري رأسها أثناء تحديها له بقسوة وتابعت: «آه! لا أعتقد ذلك لوك، لم تحتمل الانتظار للتخلص مني».

أخذت كاري نفساً عميقاً. فكرت أن الفرصة مؤاتية الآن لإخباره أنه لن يستطيع ابتزازها بعد الآن، فهاري لم يعد بحاجة إلى وظيفته في المدينة، وأنه إذا أراد زوجة يمكنه إيجاد امرأة أخرى، لأنها لن تتزوج به.

لكن قبل أن تفعل ذلك انفجر لوك قائلاً بانفعال: «كان عليك إخباري، كان يجب أن أكون هناك، كان يجب ألاّ يسمح لك باجتياز تلك المحنة لوحدك».

حدّقت إليه كاري غير مصدقة. أهذا لوك الذي تستمع إليه؟ لوك الذي يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، وصوته ممزوج بالألم والغضب الشديدين؟

فجأة سألها لوك بطريقة فظة: «أم أن شخصاً آخر كان معك. كاري؟».

ثم تابع ملحاً: «هل كان هناك رجل آخر يخفف عنك؟ يساندك؟ حبيب آخر...؟».

سمعت كاري ما فيه الكفاية...

- رجل آخر؟ حبيب آخر؟ بعد ما فعلته بي؟ أتعتقد ببساطة أنني سأكون غبية إلى درجة أنني سأسمح لنفسي بأن أجرح بهذا الشكل مرة ثانية؟ منذ أن

تركتني لم أسمح لأي رجل بالاقتراب مني أو...

فجأة توقفت كاري عن الكلام. في ظل الصمت الثقيل الذي خيّم على الغرفة، راحت هي ولوك ينظرا إلى بعضهما البعض.

- أبداً؟

عبس لوك مكرراً: «أبداً؟ إذا كانت هذه الحقيقة، كاري، فما سبب كل ذاك، لماذا...».

- سمو الأمير. آه! أنا آسف.

عندما انفتح الباب ودخل أحد رجال الحاشية مسرعاً، انتهزت كاري الفرصة وخرجت مسرعة من القاعة.

لماذا بحق السماء قامت بمثل هذا الاعتراف الغبي؟ ألأنها للحظة تفاجأت بانفجار لوك العاطفي غير المتوقع؟ هذا ليس سبباً كافياً لها لتتصرف كما لو أن...

- آه! آنستي، أنت هنا...؟ وصل مزين الشعر وأخصائي التجميل. هما ينتظرانك في جناحك الخاص. آه! ومديرة القصر ترغب في اصطحابك في جولة لتتفحصي غرف النوم الملكية، للتأكد بأن غرفتك مرتبة كما ترغبين.

انطلقت كاري بشكل آلي مسرعة نحو جناحها الخاص.

رفعت كاري رأسها عن الوسادة ونظرت إلى الساعة. إنها الواحدة صباحاً بالتمام.

لم تنتهِ من التحضيرات النهائية للزفاف قبل السابعة مساءً. وكما علمت، لوك لديه بعض الاجتماعات المهمة. لذا تناولت العشاء لوحدها.

لماذا هي حقاً هنا؟ في سريرها في القصر بدلاً من أن تكون في طريقها إلى منزلها، في الواقع إنها لا تستطيع شرح ذلك. أم أنها تستطيع؟

لمست كاري وجهها بحزن، فهو ما زال رطباً بسبب الدموع التي ذرفتها في نومها.

منذ سنوات، وصلت كاري إلى مرحلة تقبّلت فيها أن علاقتها مع لوك لم تكن بالنسبة إليه سوى مغامرة وتسلية. فلو أنه أحبها كما أحبته لما تخلى عنها وأبعدها عن حياته بقسوة. حتى إنها أقنعت نفسها بأن ما حدث هو قدرها

رغم كل شيء. لم تكن لتكمل دراستها لو أنه تعلق بها وتزوجها.

كما طمأنت نفسها أنها يوماً ما ستلتقي برجل حياتها وستشعر معه بالأمان الكافي... الحب الكافي. عندها ستدرك أن مشاعرها نحو لوك كانت بالواقع تافهة وسطحية.

آمنت كاري بما أكدته لنفسها حتى الآن. إلى أن فُتح باب السجن فأدركت أن جزءً منها لا يريد الخروج إلى الحرية. أدركت أن جزءً منها ما يزال يتوق إلى لوك ويتألم لأجله، أن جزءاً منها ما يزال يؤمن بغباء بنهاية سعيدة لقصتهما.. القصة التي يُغرم فيها الأمير بفتاة ريفية.

نهضت كاري مبعدة غطاء السرير. وضعت عليها رداءً ثم فتحت باب شرفتها الخاصة وخرجت إلى حديقة الفناء التي ينيرها البدر باللون الأبيض الفضي.

وحشية الكونتيسة سبّبت لها جرحاً ما زال ممتلئاً بالسم، ولم يشفَ تماماً. نزلت كاري الدرج الضيق المؤدي من شرفتها إلى الحديقة تحتها وهي شاردة الذهن، وبدأت تمشي الهوينا على الممرات المفروشة بالحصى منجرفة في ذكريات حيّة ومؤلمة.

حين غادرت سانت انتاندر كانت تشعر بألم مبرح. اندفعت إلى إنكلترا حاملة جرح كبريائها، لكن بالكاد تمكنت من القيام بأي شيء... أجبرت نفسها على التصرف كما لو أن شيئاً لم يحدث... كما لو أنها لا تعاني من ألم عاطفي شديد. لكن كبتها لمشاعرها وألمها جعلها غير قادرة على النوم أو الأكل، ركّزت كاري بقدر ما استطاعت على دراستها، حابسة نفسها كلياً بعيداً عن أي نوع من الاتصال العاطفي بالناس، كاتبة رسائل إلى والدها في سانت انتاندر مدّعية أنها تحب الحياة الجامعية، وأنها تحظى كل ليلة بشاب جديد تقضي أوقاتها معه بالمرح والتسلية.

إلا أن الحقيقة كانت مختلفة تماماً. فهي فعلياً كانت تقفل على نفسها في غرفتها تذرف الدموع لساعات. حتى كان ذلك اليوم الذي وجدتها فيه صديقتها وهي منهارة تماماً، ما تطلب عناية طبية فورية لإنقاذها. تلا ذلك معاناة نفسية أجبرت على معالجتها في ذلك المركز المخصص للعلاج النفسي.

جلست كاري على حافة النافورة في الحديقة، تحرك أصابعها في الماء. ومرّت بجانبها سمكة ذهبية كسولة سمينة تسبح متراخية.

كم شعرت بالخوف عندما أجبرت على ملازمة المستشفى. ذهبت إلى هناك وهي ما زالت طفلة، خائفة على نفسها، وعلى حياتها. لكنها غادرت كامرأة تغلبت على الخوف. إلا أنها احتفظت من تلك الأيام بحزن موجع وألم لخسارة الرجل الذي تحب.

ظهرت بقعة صغيرة على سطح الماء حين تدحرجت دمعة على وجنتيها وسقطت إلى الماء، ثم تبعتها دمعة أخرى.

عاجزة عن منع نفسها من البكاء، ضغطت كاري براحتي يديها على وجهها وأغمضت عينيها. لا يمكنها أن تضعف وتنهار مرة أخرى!

- كاري!

تجمدت في مكانها حين سمعت لوك يناديها. فتحت عينيها ووثبت واقفة متحفزة للهروب، لكن لوك لحق بها، وأمسك بها وجذبها نحوه.

- كاري... ! كاري... !

سمعته يهمس باسمها بصوت معذب. بدا قلقاً عليها، راغباً في أن يخفف عنها، أدركت كاري ذلك بضعف وعدم تصديق. أحست بالعواطف التي كبتتها لفترة طويلة تنفجر متجاوزة ضبطها لنفسها، تهز جسدها بحدّتها، تملأ عينيها بالدموع، تعذب جسمها كله بالنشيج الذي تمزق في حنجرتها.

- لم تكن لدي فكرة عما مررت به.

أحسّت كاري بيدي لوك تشتدان حولها، وأحست بضربات قلبه القوية غير المنتظمة تضرب بالقرب منها. تدفئها، تقويها. ما لبثت دموعها أن توقفت فجأة حين سمعته يقول: «سوف أعوضك عن معاناتك كاري. أعرف أن هذا لن يمحو الألم مما عانيته. أجبرت على إبعادك... تركك تغادرين... لا يمكنك أن تتصوري كم أنا نادم».

هزّت كاري كتفيها قائلة: «كنت ساذجة، وعقلي مسلوب بك لوك، فسمحت لنفسي بإطلاق مشاعري نحوك».

- تجعلين الأمر يبدو كأنه إعجاب من جهة واحدة كاري، وهو لم يكن

كذلك بأي شكل. أنا لم أنكر أبداً ولن أنكر بأني أجدك جذابة جداً، جداً...

تلاشى صوته وهو ينظر إليها بطريقة خطفت أنفاسها.

التقطت كاري أنفاسها، وشعرت بقلبها يترنح وبمعدتها تتقلص. سألت نفسها بغموض: أما من شيء تريد إخباره به؟

- لن تتصوري كم شعرت بالغيرة من كل أولئك العشاق الذين ادّعيت أنك عرفتهم.

- أنت كنت...؟

بدا صوتها لاهثاً، ناعماً... جذاباً.

وافقها لوك قائلاً: «أجل... أنا».

شعرت بدفء أنفاسه، وبحرارة كلماته يغمرانها.

- لوك!

هل همسها الناعم هو اعتراض أم اعتذار؟ هل سمعه لوك حتى؟ أو أنه منشغل جداً بمعانقتها؟

همس لوك قائلاً: «هل تذكرين المرة الأولى التي عانقتك فيها؟».

أجابت كاري هامسة: «أجل!».

- كنت ترتجفين بين يدي.

كما هي الآن تماماً... أدركت كاري ذلك حين لامس شعرها ثم أنزل يده ليربت على كتفها.

- بعد يومين سنكون متزوجين...

سمعت نفسها تعترف بخنوع: «أجل».

ارتعش جسمها كله عندما لمسها برقة، فاقتربت منه بشكل آلي.

همس بالقرب من أذنها: «كنت أفكر فيك طوال المساء. في الحقيقة، ولأكون صادقاً، أنا أفكر بك منذ نظرت من نافذة مكتبي ورأيتك تقفين في الساحة».

- ما كنت لأعود إلى سانت انتاندر لأسلم رسالة ماريا لو عرفت أنك هنا.

راحت كاري ترتعش وهي تتكلم، في حين بدت عيناها قاتمتين.

علق لوك مبتسماً: «إنه القدر! القدر جمعنا مرة ثانية، وللقدر دائماً غرض ما».

- من فضلك، لا تدّعِ أنك كنت تتوق إلي طوال الفترة التي ابتعدنا فيها عن بعضنا البعض.

حذّرته كاري متابعة: «كنت ستتزوج ماريا...».

سألها لوك: «وهل كنت أنت تتوقين إلي؟».

نظرت إليه كاري نظرة استياء، واعترفت قائلة بشكل غامض: «مرت أوقات رغبت فيها لو أنني أستطيع إخبارك كم أكرهك».

همس لوك: «إذاً، قولي لي ذلك الآن».

أمسك بها وانحنى يعانقها بشوق يضاهي شوقها إليه.

أطلقت كاري تنهيدة ناعمة، مستمتعة بالأحاسيس السعيدة للمسة لوك لها. أصابعه أيقظت فيها شوقاً يفوق سيطرتها على نفسها.

بلطف شديد أخذ لوك يدها ووضعها على كتفه.

قال لها بصوت أجش: «عندما عانقتك للمرة الأولى بدوتِ خجولة جداً، مترددة، ومع ذلك قربك مني أشعل في داخلي أحاسيس قوية جداً لم أتمكن من نسيانها طيلة تلك السنوات».

تنهدت كاري قائلة: «كأن عمراً كاملاً مر على ذلك».

وافقها لوك قائلاً: «أجل... في بعض الأحيان. لكن في البعض الآخر يبدو كأنه حدث البارحة».

ترك كتفيها ليلامس وجهها برقة، هامساً باسمها: «كاري! كاري!».

ثم أكد بلطف: «لن نفترق بعد اليوم حبيبتي...».

توقف ليعانقها ببطء، وهذه المرة شدها إليه أكثر متابعاً: «أنتِ وأنا خلقنا لبعضنا البعض».

استطاعت رؤية الشغف في نظراته حين تركها حتى أحسّت بأنها تذوب شوقاً إليه.

- كاري...

بدا اسمها كأنه أنين ناعم من البهجة، منطلقاً عندما اقترب منها أكثر واحتضنها بقوة.

بعد حوالى ساعة أمضياها غارقين في مشاعرهما المتلهفة المحمومة، يبردان شوقهما بالعناق تارة وبالتنهدات أحياناً، سار لوك إلى جانبها يظللهما نور القمر البهي ليوصلها إلى غرفتها. ودعها عند باب الغرفة بعناق طويل حميم جعلها تنام بقية الليل هانئة البال حالمة بحبيبها، بأميرها لوك.

١٠ - وبعد، إلى أين؟

ملست كاري قماش ثوب زفافها بتوتر. لم تسنح لها الفرصة لتبقى وحدها مع لوك منذ الليلة التي جاء فيها إليها في الحديقة. لكن في نهاية هذا اليوم ستصبح زوجته.

بالأمس وخلال إجراء التجربة لحفلة الزفاف، أخبرها لوك أن الكونتيسة قررت القيام بزيارة مطولة لابن عمها في إيطاليا. ضغط على يدها، ومنحها نظرة حنونة في الثواني القليلة التي بقيا فيها معاً، قبل أن يُدعيا للقيام بدورهما العلني.

سوف يمضيان شهر العسل على يخت جاي، وقد وضعه هذا الأخير تحت تصرفهما الخاص. شعرت كاري بارتعاشة لطيفة من البهجة تسري في داخلها لمجرد تفكيرها بشهر العسل. الآن، وبما أن زواجهما أصبح حقيقياً، تمنت لو أنها تستطيع إخبار أهلها. في الواقع استغربت كيف أن هاري لم يسمع بإعلان الزواج من الصحافة. وبما أن الوقت لن يسمح له بالمجيء في الوقت المحدد للاحتفال، فضّلت الانتظار إلى أن تعود هي ولوك من شهر العسل لإخبار شقيقها. يا للصدمة التي سيتلقاها هاري عندما يعرف أنها هي ولوك تزوجا، وأنه هو وماريا ليسا الزوجين الوحيدين اللذين يخططان بفرح لمستقبل واعد ببناء أسرة وإنجاب أولاد!

لم يظهر لوك يوماً ضعفاً واهتماماً مثلما أظهر تجاهها بعد أن علم بما قاسته بسببه.

أنبها بطريقة لطيفة قائلاً: «كان عليك أن تخبريني بالأمر».

حاولت كاري إقناعه قائلة: «كيف أفعل ذلك لوك؟ أنت طردتني... أبعدتني. كنت في الثامنة عشرة فقط. شعرت أنني مرفوضة، تافهة، مجروحة

www.elromancia.com

القلب».

- أنا قمت بما اعتقدت أنه عليّ القيام به.

أجابها لوك بكآبة مضيفاً: «أنتِ كنتِ شابة صغيرة! اعتقدت... نُصحت بأن أبعدك عني لأن مشاعرك هي مشاعر فتاة مفتونة فحسب. قيل لي إن الانفصال هو أفضل لكلينا قبل أن نتورط مع بعضنا أكثر».

سألته كاري بهدوء: «نُصحت؟ أفترض أنك تعني بذلك أن الكونتيسة طلبت منك القيام بذلك؟».

استطاعت أن تدرك من تعابير وجهه أن إحساسه بالولاء قد جُرح بسبب سؤالها، واحتراماً له في ذلك أضافت: «ربما لم تدرك ذلك وقتها، لكن عرابتك كانت تخطط لزواجك من ماريا».

هزّ لوك رأسه فوراً، مدعماً اعتقاد كاري بأنه لم يكن يعرف بما تخطط له عرّابته.

اعترض قائلاً: «آنذاك، ماريا كانت طفلة في العاشرة من العمر. ومجلس الوصاية على العرش قارب على الانتهاء، فضغطت عليّ عرّابتي، وكذلك المرشدون بأن أول وأهم واجب هو تجاه دولتي وشعبي، وبأني أدين لهم ولعرابتي بأن أركز على ذلك الواجب. لا! أعتقد أنك مخطئة هنا، كاري».

أصرّ لوك على ذلك، ولم تلاحق كاري المسألة. لم تقدر على سؤاله لماذا لم يشرح وضعه ومشاعره لها بنفسه، بدلاً من السماح للكونتيسة بالقيام بذلك بتلك الطريقة المتعمدة.

برغم ذلك، حزنها الماضي هو آخر شيء أرادت التفكير به اليوم. غرفة النوم في جناحها الخاص في القصر لها نافذتان كبيرتان؛ واحدة مع شرفة تطل على حديقة الفناء الخاصة، والأخرى تطلّ على الساحة الرئيسية خارج القصر. هذا الصباح، ومن هذه النافذة، تستطيع رؤية التحضيرات التي تمت لاحتفالات العيد الخمسمئة والزواج.

أضيفت الزهور على الزهور التي نُثرت سابقاً في المكان، وأشعة شمس الصباح المضيئة أرسلت وميضاً برّاقاً للألوان تتلألأ من خلال قطرات المياه التي تقطر من الأزهار النضرة المروية. زُينت المدينة كلها بعروض رائعة تظهر

ألوان شعار النبالة الملكي: اللون القرمزي، الأزرق الملكي، الذهبي والأبيض. ومن نافذتها يمكنها رؤية الطريق الخاصة للعربة التي ستقلها من القصر إلى الكاتدرائية التي تبدو كنهر من الألوان.

العقدة الصغيرة من الإثارة في معدتها جعلت من المستحيل عليها أن تأكل أكثر من لقمة واحدة من الفطور الشهي الذي قدّم لها باكراً. أرسلت هذه اللقمة وابلاً من الفقاقيع في معدتها.

إنها بالكاد تستوعب ما يحدث لها، وما حدث. لكن في خصوصية سريرها في الليل استعادت مرّات ومرّات عناق لوك واعترافه لها بحبه في الحديقة، معترفة برغم كل شيء، أنها الآن تحبّه بعمق أكبر مما كانت تحبه وهي في الثامنة عشرة من عمرها. ما شعرت به آنذاك كان افتتان فتاة، أما ما تشعر به وتحسه الآن فهو حب امرأة!

حتى فكرة العلاقة التي تبادلها لوك مع جينا لن تقوى على إزعاجها اليوم. اعترفت كاري بذلك حين فُتح باب غرفة نومها ودخلت بينيتا مسرعة، تحمل باقة من الورد بلون القشدة وقد بدا السرور على وجهها. سلمتها لكاري وأعلمتها أن مزين الشعر وأخصائي التجميل ينتظرانها، وأن المرافقات وصلن يساعدهن أعضاء من فريق عمل دار الأزياء لارتداء أثوابهن.

لم تكن كاري تصغي إلى بينيتا، بدلاً من الإصغاء كانت تلمس بتلات وردة من الوردات برأس إصبعها الذي يرتجف قليلاً، وتقوست شفتاها مظهرة ابتسامة لطيفة حين قرأت الورقة المرافقة للوردة.

«قطفتها بنفسي هذا الصباح، من حديقة الفناء» لوك.

هذا كل ما كتبه، لا شيء أكثر، لكنه كافٍ. بالعودة إلى حديقة الفناء، عرفت كاري، أنه يذكرها بالحميمية التي تشاركاها هناك. مجرد قوله إنه قطفها بنفسه، يخبرها باهتمامه الشخصي بها.

قربت كاري الورود إلى وجهها وتنشقت عبيرها الناعم. الليلة، عندما تستلقي بين ذراعي لوك، ستخبره كم تعني هذه الهدية لها. الليلة...

تنفست كاري الصعداء حين وضع خبير التجميل اللمسة الأخيرة من مسحوق التجميل على وجهها. تأكد أنه لم يتناثر على الثوب الذي ترتديه.

ووقفت بعيداً كي ترى صورتها المنعكسة في المرآة.

علت وجهها نظرة رهيبة من عدم التصديق حين حدّقت بالصورة المألوفة وغير المألوفة معاً والتي تنظر إليها بوقار. أجل. هذا وجهها، أنفها، عيناها، شفتاها... لكن المرأة التي في المرآة لديها جمال سماوي لم تلاحظه كاري أبداً في صورتها من قبل. هذه المرأة، التي ترتدي ثوباً حريرياً رقيقاً بلون القشدة، وتضع على رأسها تاجاً ثقيلاً غالي الثمن تبدو رائعة الجمال بعينيها الكبيرتين وجسمها النحيل. تمّ وضع التاج على رأسها مثبتاً النسيج الشفاف المخرم القديم الطراز الغالي الثمن، الذي هو عبارة عن طرحة كانت لجدة لوك.

تقدمت كاري نحو المرآة كأنها تريد لمس تلك الصورة لتتأكد بأنها هي نفسها تلك الإنسانة الرقيقة التي تحدق فيها.

خلفها، كانت الغرفة مزدحمة بالمرافقات اللواتي يقفن بصمت. هؤلاء هن في الأغلب بنات رجال حاشية لوك. جميعهن يرتدين أثواباً تبدو نسخة مبسطة لثوبها. إلا أن أثوابهن موشحة بألوان شعار النبالة لسانت انتاندر، وكل فتاة تحمل باقة ورد مناسبة للوشاح.

أمّا باقة كاري فكبيرة تتدلى أزهارها بألوان قشدية، بيضاء وخضراء، قدمت إليها مع انحناءة احترام. في حين راح المزيّن يبرز بعض خصلات من الشعر من النسيج الشفاف ليضيف تأثيراً جديداً ناعماً على الصرامة الملكية التي تميز مظهرها.

ما إن حرّكت رأسها حتى التمعت الأقراط الماسية التي تلقتها كهدية من لوك هذا الصباح بقوة لمعان تفوق لمعان الماس الذي يزيّن التاج.

- تعالي... حان الوقت.

صوت مصمم الأزياء الصارم كسر الصمت المخيم على الغرفة. واستدارت كاري بصمت نحو الباب.

لم تشعر من قبل بمثل هذا التوتر وهذه الوحدة. هذا الصباح تكلمت مع أبيها وزوجته ومع هاري وماريا، بعد أن اقترح عليها لوك إخبارهم بأنها ستتزوج به. بدا والدها ممتناً أكثر منه مندهشاً، أما هاري فصدمها بقوله إنها

ولوك يناسبان بعضهما جداً.

اعترضت كاري على كلامه: «لكن... اعتقدت أنك تكرهه».

أكّد لها هاري قائلاً: «ليس لوك، فكرة زواجه من ماريا هي ما أكره».

ظهر خادمان مرتديان بزّة نظامية، فتحا الأبواب المزدوجة، حيث وقف أحد أعضاء الأسرة الملكية متألقاً برداء ذهبي مزركش، ينتظر ليرافقها إلى العربة الرسمية التي ستغادر فيها إلى الكاتدرائية.

حفاظاً على التقاليد، كعروس، سَتُبْقى محبوسة في العربة خلال رحلتها إلى الكاتدرائية، حيث لن يراها أحد. لكن بعد مراسم الزواج ستعود هي ولوك في العربة المكشوفة التي استقلها لوك إلى الكاتدرائية.

هزّت كاري قشعريرة من التوتر حين مشت ببطء، نحو الباب. الوزن الثقيل لثوبها بالإضافة إلى وزن التاج جعلا حركتها بطيئة جداً.

توقفت العربة خارج المدخل الرئيسي للقصر، وحين وصلت إلى أبواب القصر سمعت لحناً قصيراً للأبواق. بعدئذٍ فتحت الأبواب مع تلويح بالسيوف. عندها طرفت عينا كاري بسبب أشعة الشمس الباهرة التي اندفعت إلى الداخل. وامتلأت أذناها بالتهليل القوي للجمهور المنتظر في الخارج.

اندهشت كاري لحجم الجمهور وحماسته. صحيح أن بينيتا أخبرتها أن الجميع متحمسون للاحتفالين، لكن كاري أقنعت نفسها بأن خادمتها تخطىء بإظهار الأمر أكثر جمالاً، إلا أنها تأكدت الآن أن الأمر ليس كذلك.

ازدادت حدّة أصوات الهتافات التي تحييها من الساحة شبه المغلقة أثناء تقدمها بهدوء نحو العربة التي تنتظرها، يرافقها عضو الأسرة المالكة. راحت الهتافات تزداد حماساً، وبدأ الناس يرمون الأزهار الملونة بلون الشعار الوطني إلى الساحة.

أمطرت الأزهار على العربة والحصانين اللذين يجران العربة إلى درجة أن الطريق بدت كسجادة من الألوان. من خلال نافذة العربة المرفوعة قليلاً لإدخال الهواء النقي، استطاعت كاري تنشق العبير المنعش الذي يفوح أثناء تهشيم العربة للأزهار.

أقيمت الحواجز على جانبي الطريق، حيث وقف وراءها الحشد بالعشرات. الأهالي يحملون أولادهم على أكتافهم حيث لفتت انتباه كاري وجوههم الصغيرة المتحمسة.

فجأة، أحدثت المناسبة الرهبة والإجلال في نفس كاري. هي ليست ببساطة امرأة تتزوج من الرجل الذي تحب. إنها تتزوج أميراً لديه دور تاريخي عميق ليلعبه، وعهد سام ليحفظه. عهد هو بالنسبة إليه، أهم بكثير من العهد الذي سيقطعه لها الآن في الكاتدرائية. أبعدت كاري هذه الفكرة عن رأسها، مناضلة كي لا تشعر بالرهبة والارتباك بسبب إدراكها كم ستتغير حياتها.

عندما فرض عليها لوك الزواج به لتصبح زوجته المؤقتة، لم تعطِ أي أهمية مطلقاً لما سيستلزمه زواجها برجل في مركزه. لماذا ستفكر في ذلك؟ ما من حاجة لذلك، بما أن الزواج سينتهي بعد أسابيع من بدايته. وفي حدّة المشاعر الحميمة التي تطورت مباشرة بينهما، لم يكن لديها لا الوقت ولا الرغبة لتتخيّل أنها ولوك سيكونان معاً.

الآن، وبرغم كل شيء، هي مدركة بالفعل كم ستتغير حياتها. عندما ستغادر الكاتدرائية اليوم لن تغادرها كزوجة لوك فقط، بل كرفيقة رجل أهدى حياته لمراقبة وحماية قرون من التقاليد، رجل لدى شعبه توقعات وحاجات ستلزمها كشريكة حياته بلعب دورها في تلبية هذه الحاجات.

الواجب والمسؤولية. تبدو هاتان الكلمتان قديمتي الطراز في عالم متمدن. لكن لوك رجل يهتم جداً لهاتين الكلمتين... رجل يأخذ هاتين الكلمتين بجدية مطلقة.

شعرت كاري بإحباط قوي وبإحساس من الذعر والخوف من أن تصبح مجرد واجهة مزخرفة في حياة الرجل الذي تحب، لكن ما إن توقفت العربة خارج الكاتدرائية التي يعود تاريخها إلى القرن الخامس عشر غمرها إحساس جميل من الهدوء والعزم.

ستكون هي نفسها، بالإضافة إلى كونها زوجة لوك. امرأة متحضرة ورفيقة أمير حاكم أيضاً. بالتأكيد ستوظف تجربتها وخبرتها في مجال عملها من أجل مساعدة وازدهار سانت انتاندر. ستصرّ على لوك بأن يسمح لها

بلعب دور مناسب في الإمارة. أكدت لنفسها بقوة حين فُتح باب العربة، وساعدها الموظف على الخروج. بدءً من هذا اليوم ستأخذ على نفسها عهداً ليس فقط للوك بل لدولته أيضاً، لمستقبلها ولماضيها.

توقفت كاري قليلاً قبل أن تخطو خطوتها الأولى إلى الكاتدرائية. بدت عتمة الكاتدرائية وجوها البارد بمثابة واحة مقدّسة من الهدوء والسلام بعد الصوت الحماسي للحشد في الخارج.

بدأ الأرغن بعزف مقطوعة خاصة بالمناسبات الملكية. حين دخلت كاري إلى الكنيسة أحسّت بنظرات الحماسة والفضول تحيط بها بترقب.

ابتعد الموظف عنها إلى الظل، وتقدم رجل آخر، لا يرتدي الزي المشع نفسه، بل بذلة داكنة بسيطة. تقدم الرجل نحوها ليأخذ مكانه ويرافقها في الممر.

حين استدارت كاري لتنظر إليه، اتسعت عيناها دهشة وفرحاً.

- أبي...!

همست غير مصدقة حين اقترب والدها منها ومنحها غمرة دافئة على ذراعها.

- لوك رتّب كل شيء. اتصل بنا خلال رحلتنا خارج البلد، وعرفنا أنه علينا أن نكون هنا. سافرنا إلى نيس منذ أيام. لكنه أراد أن يفاجئك.

أحضر لوك والدها ليرافقها في الممر ويسلمها إلى عريسها!

بدا الممر الطويل الضيق الذي يؤدي إلى حيث يقف لوك بانتظارهما ضبابي الألوان بسبب الدموع التي ملأت عينيها.

- عرفت دائماً أنكما تكنّان الحب لبعضكما. لكن عليّ القول إنني لم أتوقع هذا.

سمعت والدها يهمس لها بابتسامة عريضة أخبرتها كم هو مسرور، حين بدأت المسافة بينها وبين لوك تضيق.

على الرغم من أن التجربة التي قاما بها للزفاف بدت مدروسة بشكل جيد، إلا أن كاري أدركت أنها في الحقيقة لم تكن كذلك. فهي فعلاً لم تحضرها لا لضخامة المناسبة ولا لطول مدتها.

بدأ التاج يضغط بثقله على رأسها، وبدا لوك أرستقراطياً متزمتاً مهيباً في البذلة الرائعة. أحسّت كاري أن هناك شيئاً مرهباً ومنفراً بشأنه، وأن هناك ثقلاً من التقاليد يحمله على كتفيه بعزم. بدا صوتها مرتجفاً وهي تؤدي قسمها، وكذلك يدها عندما أدخل لوك خاتم الزواج في إصبعها.

عندما كانت في الثامنة عشرة، حلمت كاري بتوق شديد بهذه المناسبة، راحت تتخيلها، وتتخيل لوك نفسه مراراً ومراراً. لكن الحقيقة فاقت خيالها الفتي بأشواط كثيرة.

عانقها لوك بطريقة باردة ومختصرة، جعلتها تتفحص وجهه بنظرة انفعالية تواقة. في الحديقة كان رجلاً وليس أميراً أو حاكماً، لكن اليوم في الكاتدرائية بدا ما حكم عليه قدره أن يكون، ولم تستطع كاري منع نفسها من الشعور بالألم حيال ذلك.

أعلن الكاهن بصوت رنان: «أعلنكما الآن زوجاً وزوجة».

علت موسيقى الاحتفالات، وملأت أرجاء الكاتدرائية الواسعة حين مشى لوك وكاري عائدين في الممر. ترك الاحتفال مشاعرها متلاشية واهية. تمنّت لو أنها تستطيع الانحناء نحو لوك والشعور بذراعيه يضمانها، لكن هذه ليست مناسبة خاصة واحتفال شخصي، إنها مناسبة عامّة.

هذا الصباح، عندما كانت تحضر نفسها للزواج، كان لوك في الكاتدرائية حيث تم تكريسه باحتفال رسمي كحاكم الإمارة. شعرت كاري أن كآبة هذه المراسم تهددها بطريقة ما، وتطرح ظلاً فوقهما.

حاولت كاري إقناع نفسها بأنها تبدو عاطفية بشكل مفرط. فوقفت بجانب لوك عندما فُتحت الأبواب الواسعة، ليراهما الحشد يقفان معاً كزوج وزوجة لأول مرة. أصوات الهتافات والابتهاج آلمت أذنيها بشدة. قبل الاحتفال أصدر لوك مرسوماً يمنع التقاط الصور، فهو لا يريد أن تتحول المناسبة إلى خبطة صحافية مبتذلة.

بدت لمسته على معصمها باردة وخفيفة وهو يتركها ليساعدها الحاجب المرتدي بزة خاصة في الصعود إلى العربة.

جلس لوك أمامها لأن المقعد لا يتسع له ليجلس إلى جانبها. استدار

مباشرة ليعبر عن شكره للجماهير. وبعد تردد خجول لبرهة، انضمت كاري إليه وراحت تعبّر عن شكرها هي أيضاً. وعلى الفور ازداد هتاف الجماهير، وبدأ الناس يرمون الأزهار عليهما. عندما وصلت العربة المكشوفة إلى القصر كانت ممتلئة بالأزهار.

حزن كئيب مسّ مشاعر كاري الحسّاسة. ألقت نظرة سريعة على لوك... فهي بحاجة إلى إعادة طمأنتها بلمسة، بنظرة تخبرها أنه تحت هذه البذلة الرسمية والمظهر المتزمت ما زال الرجل الذي تحب، الرجل الذي شدّها إليه وعانقها بلهفة.

لكن بدا لها أن تركيزه كله منصب على الجماهير المهللة.

بدأت كاري تحس بالعبء، وما زال عليها حضور الفطور الرسمي الكبير الذي يقام بمناسبة الزفاف.

عندما توقفت العربة المكشوفة أمام القصر، انحنت كاري نحو لوك وهمست قائلة: «أشكرك لأنك أحضرت والدي إلى هنا. هذا يعني الكثير بالنسبة لي».

وبدلاً من الاستجابة إلى عواطفها، عبس لوك وقال بطريقة جافة تقريباً: «من الطبيعي أن يكون والدك هنا، عدم حضوره سيثير الكثير من الانتقاد والتساؤلات».

نظرت إليه كاري بتشكك. لماذا أصبح فجأة رسمياً وبعيداً عنها؟ هي تعرف أن هذه مناسبة رسمية، لكن بالتأكيد يمكنه إظهار بعض المحبة في هذه اللحظات القليلة من الخصوصية! ألا يتوق ليكونا مع بعضهما كزوجين... كحبيبين؟

- كاري!

وقفت كاري تنتظر استقبال الضيوف. فجأة حدقت بسرور وعدم تصديق حين رأت شقيقها هاري وزوجته.

ضمها شقيقها إليه وقبّلها وكذلك فعلت زوجته. نظرت كاري إليهما مندهلة.

- سافرنا مع أبي.

أخبرها هاري بسعادة متابعاً: «رتّب لوك كل شيء. لم نقل لك شيئاً عندما تكلمتِ معنا على الهاتف لأننا أردنا أن يكون الأمر مفاجأة لك».

- أملت أن يلتقي لوك بامرأة تسعده، لكن لم أحلم أبداً أن تكوني أنتِ هذه المرأة.

قاطعته ماريا بابتسامة عريضة مثل ابتسامته متابعة: «لا عجب أنه وافق بطيبة خاطر على تحرير بعض المال من وديعتي المصرفية حتى نتمكن أنا وهاري من شراء المزرعة. كنت مرتعبة من مفاتحته بهذا الموضوع، لكنني عرفت أنني مجبرة على ذلك، بما أنه هو الوصيّ. مع ذلك لم يقل أي كلمة عنك. عرفنا بأمر الزواج فقط عندما اتصل بوالدك».

بدا الصف الطويل من الضيوف متلهفاً للتحرك. لذا ابتعد هاري وماريا قبل أن تعلق كاري على كلامهما. نظرت كاري نحو لوك الذي كان يتكلم مع رجل كبير بالسن أرستقراطي المظهر.

همس والدها في أذنها كأنه يعلمها: «عضو من العائلة الحاكمة في اللوكسمبورغ».

ثم بدأ يعبس حين تابع قائلاً: «أصحيح أن سانت انتاندر تواجه بعض المشاكل السياسية، كاري؟ سمعت صدفة القليل من الأحاديث المزعجة أثناء وجودي هنا. أشعر أنه فاتتني معرفة بعض الأشياء وأنا في أستراليا».

عبس بعمق أكبر وأضاف: «حتى إنني سمعت أحدهم يناقش إمكانية تنازل لوك عن منصبه، لكن بالطبع أعرف أنه لن يفعل ذلك. هذه الإمارة تعني كل شيء له».

اعترفت كاري: «هناك بعض المشاكل».

توقفت عن الكلام حين تقدم صف المهنئين جاعلاً الأحاديث الخاصة مستحيلة.

جاي هو التالي في الصف، بدا أمريكياً جداً اليوم وأقل شبهاً بلوك من الناحية الجسدية عمّا هو عليه عادة.

غمز كاري حين وصل إليها هامساً قبل أن يبتعد: «هذه حقاً مراسم أنيقة قديمة الطراز».

أخيراً انتهى كل شيء. تاقت كاري لتتحرر من الثوب والتاج الثقيلين. أمضت هي ولوك الساعتين الأخيرتين يطوفان بين الضيوف. والآن، حان الوقت لهما للانسحاب إلى جناحيهما المنفصلين ليحضرا نفسيهما للمضي في شهر العسل.

بدت بينيتا مليئة بالحماسة حين أخرجت مرافقي كاري من غرفة النوم وعادت لتساعدها في تغيير ثوبها.

أعلمت كاري بسعادة: «أصبحت أغراضك على متن اليخت».

تابعت بحماسة: «آه! تبدين جميلة جداً. الجميع قالوا ذلك. تبدين كأميرة من أميرات القصص. سيحب الجميع سانت انتاندر من اليوم فصاعداً، وسيرغبون بالمجيء إلى هنا لإنفاق المال».

شعرت كاري بأنها مرهقة جداً لتجيب. حاجتها للتحرر من قيود هذا اليوم وثيابه الرسمية بدت قوية في داخلها. اشتاقت إلى لوك وأرادت أن تكون وحدها معه كما ترغب دائماً. اليوم، برغم حقيقة زواجهما، بدا بعيداً عنها بشكل مخيف. بدا غريباً منطوياً على نفسه وصارماً، يقوم بطقوس ضرورية.

أثناء طرحها للوزن الثقيل لبذلة الزفاف، عزمت كاري على طرح الوزن غير المرغوب فيه لأفكارها الكئيبة. قريباً ستكون هي ولوك معاً كزوج وزوجة. مرّ النهار بمراسمه الرسمية حيث لعب لوك دوراً رسمياً يبدو مألوفاً له، ولكن ليس لها. أما الليلة، فسيلتقيان بمنزلة متساوية كرجل وامرأة، كحبيبين. توقف قلبها عن الخفقان للحظة، ثم بدأ يضرب بسرعة، وحماسة، وتوق شديد.

لن تلتقط لهما الصور وهما يغادران، التزاماً بقرار لوك بالتعتيم الفعلي على الخبر. لذا شعرت كاري بالحرية لترتدي بنطلوناً مسائياً من الحرير الأبيض وقميصاً من الشيفون الناعم ذات قبّة عالية. كما ارتدت سترة مسائية من الحرير تناسب البنطلون. بدا الثوب أنيقاً جداً كما اعترفت كاري لنفسها. الرباط الذي يثبت حافة القبة العالية يبدو على شكل عقدة على جانب واحد من رقبتها. مجرد تفكيرها بأصابع لوك الناعمة تفك العقدة جعل قلبها يرقص وجسدها يرتجف. فجأة فارقها تعبها الجسدي وحل محله

الترقب.

سمعت كاري دقة قصيرة على الباب فحبست أنفاسها. أتراه لوك؟ تلاشت حيويتها قليلاً حين اكتشفت أنه أحد مساعديه، وقد جاء ينقل إليها رسالة من لوك مفادها أنه نظراً لأسباب سرية وتقليدية، سيرحلان إلى المرفأ منفصلين، وأنه سيلتقي بها على متن اليخت.

شكرته كاري، ثم حاولت إقناع نفسها أنها ستبدو سخيفة إذا شعرت بخيبة أمل وعزلة فقط لأنها لن تغادر هي ولوك إلى المرفأ معاً في السيارة نفسها. رغم كل شيء سوف يلتقيان معاً قريباً، ليس فقط لهذه الليلة بل إلى الأبد.

رافقها إلى المرفأ معاون يرتدي بذلة رسمية. بدت المقاهي والمطاعم الأنيقة على امتداد الواجهة المائية مزدحمة بالرواد. وقد ساهمت الإضاءة بإظهار المنظر الليلي الرائع حول المرفأ. حيث بدا المكان مليئاً بالنساء المرتديات أثواباً باهظة الثمن والرجال المتأنقين.

يظهر جلياً أن سانت انتاندر تصبح بشكل متزايد مكاناً عالمياً مقصوداً. كل ما في المدينة يبدو مضيئاً ومنفتحاً أكثر مما كان عليه عندما أمضت هي عطلتها المدرسية هنا. تذكرت كيف كان الحوض يومها واليخوت موحشة، فقد كان أصحابها أناساً بغيضين غامضين.

كان المكان موحشاً لا أحد يجرؤ على الاقتراب منه، لأن نوعاً من السرية والخطر كان يسيطر على هذه المنطقة، التي تجنبها الكثير من السكان المحليين.

الآن، وحسب ما أخبرتها بينيتا، أصبح الحوض مكاناً مفضلاً يتردد إليه النخبة من السكان المحليين، لاسيما الشبان. لاحظت كاري أثناء توقف السيارة مقابل يخت جاي أن سانت انتاندر تتمتع الآن بجو من الأناقة والزينة المميز جداً.

لا عجب أنها مرغوبة كمأوى ضريبي يطمح الكثيرون باللجوء إليه. لكن هذا الوضع، كما اعترفت كاري سيكون محفوفاً بالمخاطر بسبب المشاكل الحالية التي يواجهها لوك.

لم يكن لوك على متن اليخت ليستقبلها، كما تأملت في سرها، بدلاً منه قابلها أحد أعضاء طاقم اليخت. رافق كاري نزولاً إلى الجناح الكبير

المخصص لصاحب اليخت، حيث رحب بها أحد الخدم.

راحت كاري تبتسم بانتباه حين شرح لها الخادم التسهيلات والخدمات المتوفرة في الجناح. فكرت في قرارة نفسها أن كل ما تريده هو وجود لوك معها. يضم الجناح حماماً خاصاً وغرفة ملابس، بالإضافة إلى غرفة جلوس خاصة أنيقة مع زاوية ملحقة بها تحتوي على جاكوزي.

لم يوفر مصممو هذا اليخت أي مبلغ لجعله تجسيداً للترف الخالص. اعترفت كاري بذلك بعد أن تركها الخادم. أعلمها أن الكوكتيل سيقدم على ظهر المركب بعد ساعة، يتبعه احتفال عشاء خاص حضره رئيس الطهاة خصيصاً للعروسين.

بدأت كاري تطوف غرفة الجلوس الخاصة ذهاباً وإياباً دون صبر. مرّت أكثر من ساعة منذ أن وصلت إلى متن اليخت، وحتى الآن ما من إشارة من لوك. أما الأسئلة القلقة المتزايدة التي سألتها للخادم فلم تقدم لها أي تنوير عن مكان وجوده. توترت حين شعرت بحركة تحت قدميها. أسرعت إلى جانب من الغرفة ونظرت إلى الخارج لتكتشف أن الحوض واليابسة يختفيان عن الأنظار حين زادت سرعة اليخت وهو متجه نحو البحر الواسع.

لقد أبحر اليخت!

ساور كاري القلق والذعر معاً. فقررت أنها تحمّلت ما فيه الكفاية، لذا فتحت باب الغرفة، وأسرعت خارجة من الجناح. سارت على طول الممر، ثم صعوداً إلى سطح المركب، بهدف الوصول إلى المنصة لتطلب من الربان إخبارها بما يحدث، وتسأله أين هو لوك.

سرعة اليخت أجبرتها على السير بحذر بذلك الحذاء ذي الكعبين المرتفعين، الذي يناسب ثوبها. كانت في منتصف الطريق على ظهر المركب حين رأت لوك فجأة أمامها. من الواضح أنه خرج للتو إلى المنصة وهو يدير ظهره نحوها. غمرها الارتياح، فأسرعت نحوه بحماس.

- لوك!

نادته بسعادة حين وصلت على مرمى سمعه. المنطقة التي يقف فيها بدت مضاءة بشكل خافت. للحظة شعرت بالارتباك لأنه لم يتحرك نحوها، لكنه

وقف ببساطة يراقبها بصلابة. عندما وصلت إليه استدار بوجهه بعيداً عنها.

- لوك؟!

احتجت كاري واضعة يدها على كم سترته مردّدة: «لوك...!».

١١ - أين حبيبي؟

إنه ليس لوك، أدركت كاري ذلك فوراً. البشرة التي تحسّها بأصابعها هي بلا ريب ليست بشرة لوك. والذراع التي تلمس ليست ذراع لوك، جسمها يعرف ذلك بالتأكيد.

بدا كأن الدم تجمد في عروقها، وبدأت ترتجف من الذعر والرهبة، فيما دماغها المصدوم يحاول اللحاق بسرعة إدراك جسدها المباشر بأن الرجل الذي يقف بجانبها هو ليس زوجها.

استدار الآن لينظر إليها، فتحولت البرودة المعتدلة لدمها إلى تجمد فوري.

هتفت كاري واتسعت عيناها بعدم التصديق: «جاي؟».

صعد خادم الممر الخشبي وأعلن رسمياً: «يبلغكما الطاهي أن العشاء سيقدم بعد نصف ساعة. هل ترغب سموك في تناول المشروب قبل العشاء هنا أم في الحجرة؟».

سموّه؟ انتظرت كاري بحذرة الحس أن ينكر جاي بأنه كذلك، لكن لصدمتها، مال جاي برأسه فحسب وقال للخادم بنبرة باردة مقلداً لوك بطريقة مقبولة: «الحجرة ستكون مناسبة، شكراً لك. سننزل بعد خمس دقائق».

حاولت كاري الاحتجاج فوراً، لكن جاي أسرع وأمسك يدها بإحكام. لم تكن قبضته مؤلمة، لكن الضغط الذي أحدثته على يدها أظهر تحذيراً جلياً.

استجابت كاري لتحذيره بشكل آلي، فانتظرت حتى غادر الخادم قبل أن تنفجر قائلة: «جاي، ماذا يجري؟ أين لوك؟ ولماذا اعتقد الخادم أنك أنت لوك؟».

وعندما لم يعطِ أي إجابة، غمرها شعور مخيف منذر بالشؤم. فجأة، ومن حيث لا تدري، استطاعت سماع صوت لوك يقول إنه يشك بوجود شخص ما وراء المتمردين، يستخدمهم لمصلحته الخاصة. فشعرت بالغثيان والدوار بسبب قوة شكوكها المباشرة.

أمسكت يدها بإحكام وسحبتها بعيداً عن جاي. سألته باهتياج شديد: «ماذا فعلت بلوك؟ أين هو؟ إن كنت قد سببت له الأذى، لن تنجو بفعلك هذا جاي! لا تستطيع التخلص من لوك وأخذ مكانه، حتى لو بلغت ثروتك بلايين الدولارات».

غمرت الدموع صوتها، وأشبعتها بالألم حين تابعت بحدة: «لن تستطيع الحصول على مركز لوك. أبداً...».

عندما نظر إليها جاي ورأت البريق الشرس في عينيه ملأها الخوف، ليس على نفسها بل على لوك.

أعلن جاي بلا مبالاة: «من الأفضل أن ننزل لتناول العشاء، وإلا سينزعج الطاهي كثيراً».

حدّقت إليه كاري وقالت بغضب: «جاي. لا آبه إلى مدى انزعاج الطاهي، أريد معرفة ما فعلت مع لوك، ولماذا تنتحل شخصيته. أريد أن أعرف الآن، وإلا...».

النظرة التي منحها إياها أكدت لها أنه ليس لوك. أظهرت ابتسامته وميضاً نقياً لأسنان أميركية كللت بتكشيرة كبيرة.

قال لها بإعجاب: «إنك سيدة رائعة! ابن عمي هذا حقاً رجل محظوظ. أنت تحبينه حقاً، أليس كذلك؟».

- ماذا فعلت به، جاي؟

كررت كاري سؤالها متجاهلة سؤاله. لكن لشدة رعبها انفجر جاي بالضحك وهزّ رأسه.

التقط ذراعها وقال لها: «ستتحدث عن ذلك بعد العشاء».

أرادت كاري الإصرار على التحدث الآن على سطح المركب، لكن شيئاً ما في تعابير جاي أوقفها، فسارت إلى جانبه بصمت إلى غرفة الطعام.

- هل ترغب في رؤية لائحة الطعام سموّك؟

رمت كاري نظرة قاتلة على جاي حين أخذ اللائحة المقدمة إليه بكبرياء مصطنع بارد، مذكراً إياها بلوك في أقصى درجات غطرسته.

لو أن الظروف مختلفة، لأبدت كاري إعجابها لوجود مثل هذه الرفاهية على متن اليخت، أما الآن، فوسائل الرفاهية المقدمة في لعبة جاي الثمينة، لا تهمها في شيء.

تألمت لأنها لا تستطيع الإبلاغ عن جاي وعما يكون قد فعله. لو أنهما في مكان آخر وليس على متن يخته الخاص لقامت بذلك بالتأكيد.

لا بد أن القبطان وهؤلاء المساعدين الذين يشغلون المركب يعرفون أنه ليس لوك!

كما لو أنه قرأ أفكارها، سمعت جاي يدمدم بهدوء: «إذا ما كنتِ تتساءلين، وأنا متأكد أنك كذلك، فجميع أعضاء الطاقم يعرفون فقط أن هذا اليخت يملكه البليونير ابن عم سموه، وأنه قدّمه لنا لقضاء فترة عشرة أيام من شهر العسل».

اعتصر الخوف قلبها، وجعله سريع التأثر بسبب حبها للوك.

- لن تستطيع الفرار بذلك، جاي.

اعترضت كاري متابعة: «لن تستطيع التظاهر بأنك لوك و...».

الطريقة التي رفع بها جاي حاجبيه جمدت معدتها. ماذا لو كان الأوان قد فات الآن؟ ماذا إذا قام...؟ بللت كاري شفتيها الجافتين. لا! لا...! لو حصل مكروه للوك لشعرت بأن لوك لم يعد على قيد الحياة... هي متأكدة من ذلك. إنها تحبه بجنون، لذا من المستحيل أن يغادر هذا العالم دون أن تشعر بذلك.

عاد الخادم ليقدم الشراب لهما، وأجبرت كاري على الانتظار بانفعال شديد.

أخبرها جاي بصوت قوي أجش زائف: «تصرفت بحرية وطلبت العشاء مسبقاً لهذه الأمسية المميزة».

ابتعد الخادم إلى الجانب الآخر من الغرفة، وعندما عاد كان يحمل صينية

عليها كوبان من كوكتيل العصير الفاخر.

شكره جاي وأخذ كوباً قدّمه لكاري قبل أن يأخذ كوبه.

حمل الكوب وأعلن بطريقة مسرحية: «أشرب نخب عروسي الجميلة».

حين ابتعد الخادم بصمت، حدقت كاري إلى جاي قائلة: «أنا لست عروسك».

ثم أردفت بحدّة: «تحملت ما فيه الكفاية من هذه... هذه المهزلة، جاي. أريد أن أعرف ما يجري، وأريد أن أعرف الآن».

أخبرها جاي بهدوء: «سيقدم الخادم العشاء قريباً، وإلى أن ينتهي، أحذرك كاري أنه من أجل لوك يجب أن تتصرفي وكأنني أنا لوك».

يحذرها؟ زمّت كاري شفتيها. مع ذلك ستقوم بما قاله لها جاي. هي متأكدة الآن، أنه مهما كان ما يجري فإن لوك ليس في أي خطر جسدي من ابن عمه كما اعتقدت قبلاً. لكن ماذا يجري؟ تريد أن تعرف، وتصرّ على أن تعرف.

- المزيد من القهوة، حبيبتي؟

ابتسمت كاري ابتسامة ناعمة مزيفة من أجل الخادم الذي ما زال يحوم حولهما، مخفية تحتها طريقة حملقتها بجاي.

أجابت وهي تصرّ أسنانها: «لا، شكراً».

لاحظت ابتسامة جاي العريضة حين قال للخادم: «شكراً لك. هذا كل شيء. من فضلك بلّغ الطاهي شكرنا. الوجبة كانت حقاً رائعة. أليس كذلك حبيبتي؟».

أجابت كاري بصدق: «إنها تجربة لا تنسى».

فالوجبة كانت دون شك نموذجاً كاملاً من الفن المطبخي، لكنها بالكاد أكلت. إلا أن غضبها كان يأكلها بالتأكيد.

- حسناً!

أعلنت كاري لحظة أغلق الباب خلف الخادم، مضيفة: «ماذا يجري؟ لا مزيد من المراوغة والتأجيل. أدرك كم تستمتع بذلك، جاي، لكن...».

أخبرها جاي باتزان، وقد ظهر الجد على ملامحه فجأة: «في الواقع، أنا

لا أستمتع بهذا أبداً. هذه ليست لعبة كاري. هناك خطر كبير بالنسبة إلى لوك، والمجازفة كبيرة جداً...».

سألت كاري بقلق: «ماذا تعني بقولك هذا؟ من فضلك، اشرح لي!».

صبرت بما فيه الكفاية، لكن صوتها خانها بسبب التوتر الذي ترزح تحته.

أهذه شفقة تراها في عيني جاي حين التقت نظراتها بنظراته؟

- حسناً! حذرت لوك أن هذا سيحدث. أردته أن يخبرك مسبقاً، لكنه أحس أن هناك خطراً كبيراً، وأن من المحتمل أن تضللي خطته عن غير قصد. أنت تعرفين السبب. إنهم يعترضون على وجود ودائع سرية في سانت انتاندر تخص أشخاصاً تُعتبر سياستهم وطريقة حياتهم خرقاً لبعض حقوق الإنسان الأساسية».

عبست كاري وأومأت برأسها.

- هدّد المتمردون أنهم سيستمرون باحتجاجهم إلى أن يحملوا هؤلاء الأشخاص على سحب ودائعهم من سانت انتاندر، حتى لو أدى ذلك إلى إخافة المتمولين الشرفاء الذين أقنعهم لوك وشجعهم ليأتوا إلى سانت انتاندر، إلى درجة تجعلهم يغادرون ويأخذون معهم ودائعهم الضخمة. بالنسبة إلى المتمردين، الغاية تبرر الوسيلة. قال المتمردون إنهم لن يتوقفوا إلاّ إذا أجبروا مالكي هذه الودائع المشتبه فيهم بأن يغادروا، وإذا لم يقدروا، فإنهم سيجبرون لوك على التنازل عن العرش حتى يتمكنوا من تأليف حكومة تنفذ مطالبهم.

استوعبت كاري ما قاله جاي، ثم قالت معلقة: «لكن لوك نفسه يمكنه إصدار قوانين تجعل هذه الودائع غير شرعية إذا رغب بذلك. بالتأكيد...».

توقفت عن متابعة كلامها حين هز جاي رأسه.

أخبرها جاي بتجهم: «تقنياً يمكنه ذلك، لكن هؤلاء الأشخاص خطيرون، أقوياء ولهم مراكز كبيرة وذاكرة قوية. آخر شيء يريده لوك هو تحويل الإمارة إلى حمّام دم بسبب الهجوم والهجوم المعاكس. عندها لن يكون لوك وحده هدفاً لانتقامهم».

عندما شحب وجه كاري، هزّ جاي رأسه بكآبة: «لا يستطيع لوك منح هؤلاء الأشخاص الحماية، ليس فقط من أجله، لكن من أجل حماية حياة شعبه. حاول أن يتحاور مع المتمردين وأن يلفت نظرهم إلى الأخطار، لكنهم غير مستعدين لسماع أية تفسيرات. لذلك، قرر لوك أن الشيء الوحيد الذي يستطيع فعله هو إيجاد طريقة للتفاوض مع المتمولين، وإقناعهم بطريقة ما بسحب ودائعهم بطيبة خاطر. مع ذلك، عرف أنه إذا قام بالأمر بصورة علنية فسيؤدي ذلك إلى مشاكل أكثر مع المتمردين، الذين سيدّعون أن لوك يتفق مع المتمولين ويدعمهم بصورة سرية. ومن المحتمل أن يتهموه بأنه يتقاضى نسبة من أموالهم لنفسه...».

- لوك لن...

وافق جاي فوراً: «بالطبع، لن يفعل ذلك».

ثم أضاف: «لكن، يؤسفني أن أخبرك أن هناك شائعات تروج لواقع أن جدّ لوك لديه علاقات قريبة مع بعض هؤلاء الأشخاص. لكن هذه ليست الحقيقة، كما نعرف جميعنا. في حين يعتقد لوك أن الكثير من المتمردين صادقين بمعتقداتهم وأهدافهم، لكن بينهم من يسعى إلى انهيار لوك كأمير حاكم لسانت انتاندر. هؤلاء ليسوا قلقين حيال الوجه العفوي لهذه الودائع السرية، لكنهم يندسون بين المتمردين لتنفيذ خططهم الخاصة بالتخلص من لوك والاستيلاء على الإمارة. ربما ليس بصورة علنية، لكن عن طريق السيطرة عليها في الظل. سانت انتاندر هي مركز استثنائي في عدة نواحٍ، وتقدم فرصاً عديدة ومنافع لأشخاص يرغبون باستخدامها لمكاسبهم الخاصة».

وافقت كاري: «أنا أفهم ما تقول، لكن ما لا أفهمه هو لماذا يجبرك ذلك على انتحال شخصية لوك».

ردّ جاي بكآبة: «حسناً! عليّ أن أعترف أنني ترددت بعض الشيء في البداية، عندما فاتحني لوك بالموضوع، لكن لوك تدبر أمر إقناعي. هو بحاجة إلى الوقت والسرية ليلتقي بهؤلاء المتمولين السريين، وإقناعهم دبلوماسياً بسحب ودائعهم إلى مكان آخر دون إزعاجهم. كما لمّح لي لوك، أنه لا

يستطيع السماح لمشاعره الشخصية بالسيطرة على عمله. عليه أن يضع مصلحة بلده فوق كل اعتبار. تلك هي واجباته ومسؤولياته المقدسة. واجب ومسؤولية أقسم على حملهما يوم تتوّج كحاكم لسانت انتاندر.

«أحسّ لوك أن زواجه وشهر العسل الذي يليه سيشكلان غطاء ممتازاً له لينسلّ خلسة من الإمارة، ويقوم بالمفاوضات والمناقشات اللازمة. في المقابل، يجب أن يُشاهد لوك بوضوح وهو يذهب في رحلة شهر العسل. كان على شخص ما أن يتظاهر بأنه لوك. حين تورطت بخطته في الأصل، كان يخطط لزواجه من ماريا».

أخبرها جاي بذلك دون اهتمام، هازاً كتفيه بلا مبالاة، في حين تكونت كتلة صغيرة جليدية مؤلمة عميقاً داخل معدة كاري.

- لكن آنذاك، عندما فرّت ماريا مع شقيقك، ظهرت عقبة في الخطة. لم يبق أمام لوك إلا...

ظهر عدم الارتياح على جاي بعد هذا التصريح.

أكملت كاري كلامه بهدوء: «إلا الزواج بي».

- حسناً! الأمر مختلف معك... أنتِ ولوك لديكما ماضٍ مشترك، علاقة مشتركة، أحاسيس اضطرمت عند رؤية أحدكما الآخر. أنا متأكد أنها عقّدت المسألة بالنسبة إلى لوك، لكنه صمّم على المضي بخطته الأصلية.

- أنا متأكدة من ذلك.

وافقته كاري ببرودة. العقدة المتجمدة في معدتها ازداد حجمها بسبب ضربات قلبها، وقريباً جداً ستملأ كيانها وتصل إلى عروقها... إلى الدم الذي تحمله إلى قلبها. فتبرد هذا أيضاً، تجمده... تجمد حبها حتى الموت. سوف يدمرها ذلك كما دمرها لوك... ليس مرة واحدة، بل مرتين. لماذا؟ آه! لماذا سمحت لذلك بأن يحدث؟ لماذا لم تدرك...؟

لا عجب أنه بدا متحمساً جداً لإعادة حبه إلى قلبها. من المؤكد أنه عرف أنه لا يستطيع المضي في تهديده بأنه سيؤذي شقيقها هاري. بعد أن طلبت ماريا منه أن يحرر لها مالها المودع، و... لأنه هو... لوك، أخذ خطوات مباشرة لتحل مكان التهديد وتكون أقوى منه. عمل على أن يربطها به

برغبتها بدلاً من إكراهها على الزواج به. كم هو شيطان موهوب. . . ! وكم هو قاسٍ بشكل لا يحتمل! حتى إنه استعمل بسخرية ووحشية معاناتها النفسية في الماضي لجعلها سريعة التأثر به. . .

يا لغبائها! صدقت أنه يهتم لأمرها. في الحقيقة هو يهتم بها الآن تماماً كما فعل في الماضي عندما أعطى التعليمات لعرابته بإبعادها عنه. إنه يستعملها الآن كما استعملها آنذاك. وما من شك أنه لن يتردد بطرحها جانباً مرة ثانية حين تُحل مشاكله. الكتلة المتجمدة في معدتها استبدلت بألم شديد الاتقاد. . . أحسّت بغضب قاس شوّه وبتر كل الحب والنعومة في داخلها، فحولهما إلى كراهية ووجع. مع ذلك، إنها اليوم أكثر وعياً مما كانت عليه وهي في الثامنة عشرة، وما من طريقة تجعلها تسمح لجاي برؤية مشاعرها. ما من طريقة ستسمح بها لأي شخص بتخمين شعورها حتى تسنح الفرصة لتحرر هذه المشاعر على لوك نفسه.

- آه! كلاكما كنتما مشغولين.

أجبرت نفسها على التكلم برقة. لكن نظرة جاي حذرتها أن تصرفها لم يكن مقنعاً أبداً.

- أنت مصدومة. أعرف هذا. هذا قرار صعب اتخذه لوك بعدم إخبارك.

غصّت كاري للحظة بسبب غضبها الشديد فلم تستطع الكلام، لكنها حاولت بطريقة ما ابتلاع غضبها وموافقة جاي، ظاهرياً على الأقل.

- أجل، من المحتمل أن ذلك كان صعباً عليه.

طمأنها جاي قائلاً: «أراد حمايتك».

أراد استخدامي! فكرت كاري بقسوة، لكنها بالطبع، لن تقول ذلك بصوت مرتفع.

- استخدام يخص لشهر العسل هو فكرة رائعة، ما رأيك؟

سألها جاي بحماس متابعاً: «عليّ التسليم بذلك للوك، لأنه هو الذي ابتدع هذه الفكرة. مع أنني أعترف أن مغادرتي القصر إلى الحوض مرتدياً بذلة لوك هي فكرة غريبة. وبعد ذلك، طبعاً، كان عليّ إبقاء نفسي بعيداً عن

نظرك حتى أبحرنا. آه! على فكرة، عليّ تحذيرك أنني سأنام في الحجرة المجاورة لحجرتك. هناك أبواب تربط الحجرتين ببعضهما، لكن من الطبيعي أنها ستبقى مغلقة خلال الرحلة».

وافقت كاري بطريقة جافة: «بالطبع، ستبقى كذلك».

- آمل أن تكون فترة العشرة أيام كافية للوك ليكمل مناقشاته. سبق وبدأ بتحركاته بالطبع. . .

- بالطبع!

كرّرت كاري قبل أن تقول بطريقة رفيعة التهذيب: «كان يوماً طويلاً متعباً. أتسمح لي بالذهاب إلى السرير؟».

في أي وقت آخر كان يمكن لنظرة الارتياح التي أظهرها جاي أن تفرحها.

مدحها جاي بنبرة دافئة: «أنت تصرفت بطريقة جيدة حيال ذلك، كاري. عليّ الاعتراف أنني تخوفت قليلاً من ردة فعلك عندما تعرفين أنني لست لوك».

لم تستطع كاري ضبط نفسها من السؤال: «لكن لوك لا يملك هذا الخوف، أليس كذلك؟».

من النظرة التي علت وجه جاي بدا واضحاً أن هناك لدغة لاذعة لكلامها أكثر مما قصدت.

- ليس لديه خيار آخر.

قال لها جاي ذلك بإخلاص متابعاً: «من أجل حمايتك الشخصية كان من الأفضل ألا تعرفي. . .».

ردت كاري بلامبالاة: «آه. . . حقاً! عليّ القول أنني شعرت «بالحماية» حين اعتقدت أنه في خطر».

قال جاي بخشونة: «من الواضح أنكِ تحبينه كثيراً».

أدارت كاري رأسها بعيداً قبل أن تجيب. تعمدت ألاّ تصل كلمة «أجل» التي قالتها إلى أذني جاي.

* * *

نظرت كاري إلى ساعتها. بعد بضع ساعات أخرى سيرسو المركب. انتهى «شهر العسل»!

قدم جاي أفضل ما عنده لأجل تسليتها خلال الأيام العشرة الماضية. بما أنهما رسمياً في شهر العسل، لم تكن هناك أية واجبات ملكية للقيام بها.

حرص جاي باهتمام على أن يبقيا في البحر، بدلاً من الرسو في أي مرفأ أوروبي. رغم ذلك، هناك أشياء كثيرة يمكنها القيام بها على متن اليخت. ففيه نادٍ رياضي مصغّر، وهو مجهز بكتب وأشرطة فيديو حديثة. حاول جاي تعليمها كيف تتصيد في أعماق البحر. لكن بالرغم من جهود جاي كان لوك وما فعله والطريقة القاسية التي استعملها فيها، هي ما شغلت أفكار كاري معظم الوقت.

لو أنها امرأة من نوع مختلف لفكرت بتدبير انتقام، وأي انتقام ستحضّر آه! أجل، لديها وقت كافٍ لإنعام النظر في ما فعله لوك بها.

كم سبّب لها الأذى وجعلها تمضي ساعات طويلة فارغة في الليل مستيقظة في السرير الكبير الذي توقعت أن تتشاركه مع لوك! حاولت استغلال هذه الليالي بشيء مثمر. حاولت نسيان حبها للوك كما يجب عليها أن تفعل، لكنها فشلت.

تساءلت كاري بتعاسة متى ستتوقف عن البكاء. البكاء، كما لو أن شيئاً عميقاً داخل قلبها يجعلها تنزف.

* * *

تأمل لوك بكآبة المنظر خارج نافذة غرفته الصغيرة الغريبة التي استأجرها. حجز هذه الغرفة باسم مستعار، وبالكاد استعملها. إذا سار كل شيء كما يتمنى، لن يستعملها بعد الآن، لأنه سيكون في طريقه إلى سانت انتاندر، مع الموافقة الخطية لبعض المتمولين بسحب ودائعهم من سراديب مصرف سانت انتاندر.

جده قام بما اعتقده الأفضل لشعبه بالسماح لهذه الودائع بأن تأخذ المكان الأول، وعلى لوك أن يقوم بسحب هذه الودائع. أراد جده أن يحارب

الفقر والجهل، فلم يطرح أسئلة كثيرة على الأشخاص الذين فتحوا حسابات مصرفية في سانت انتاندر. بكلام آخر، باع جده ضميره من أجل مساعدة المحتاجين وغير المثقفين في سانت انتاندر، والآن ها هم أولادهم يشتمون الرجل الذي كان مسؤولاً عن ازدهارهم ورفاهيتهم.

لا يستطيع لوك إلقاء اللوم عليهم كلياً، كما أنه لا يستطيع إلقاء اللوم كلياً على جدّه. الأوقات والظروف قد تغيرت، والآن، تماماً كما فعل جده، عليه القيام بقرارات وخيارات لحماية إمارته وشعبه.

مرّت أوقات في الأيام العشرة الماضية خشي فيها أن تفشل جهوده. تلقى نظرات وكلمات غاضبة من الرجال الذين تفاوض معهم، وحذره بعضهم من محاولة سحب الودائع بسرعة أو التعبير عما يشعر به حقاً. في النهاية كان سلاحه الأقوى هو التهديد بالخطر والفضيحة.

- أحثكم على استغلال هذه الفرصة، وسحب ودائعكم الآن، بهدوء وتحفظ، وذلك لما فيه مصلحتكم. لن أستطيع تأمين حمايتكم إذا فُضِح أمركم. المتمردون في سانت انتاندر....

قال أحدهم ببرودة: «باستطاعتنا إبادتهم».

تشنجت معدة لوك، وشعر بقسوة النظرة في عيني الرجل، لكنه رفض إبعاد نظراته عن نظرة العظاءة الخطرة.

تماماً كما خطط. لم يتصل أبداً بجاي، تفادياً لإثارة أي شكوك. لكن ذلك لا يعني أنه تمكن من نسيان شاغلي اليخت، لا سيّما واحدة منهم: «كاري».

اعتقد أنه خطط لكل شيء، لكل تفصيل دقيق. وأن كل شيء تحت السيطرة. حتى ذاك اليوم الذي نظر من نافذة مكتبه إلى الخارج ورآها تقف في الساحة، و...

شعر بالتوتر حين رن هاتفه النقال. نقره بإصبعه ليفتح وأجاب على الاتصال.

بالكاد أعلن المتصل بشكل موجز قائلاً: «لقد وافقوا!».

لكن هذا كان كافياً.

منح لوك الغرفة نظرة أخيرة مختصرة؛ لن ينام هنا الليلة. الحمد لله! يبدو الآن أن الأمور ستسير كما تمنّى.

١٢ - بين الرجل والأمير

عدم وجود أرض متحركة تحت قدميها بدا مريكاً. سلمت كاري بذلك حين وقفت في وسط غرفة النوم الكبيرة التي قُدمت إليها بعد عودتها إلى القصر. هذه ستكون غرفة نومها الجديدة: غرفة النوم الزوجية. نظرت بصورة تلقائية إلى الأبواب التي تصل غرفتها بغرفة لوك.

لوك! مشت كاري بتجهم على السجادة الكثيفة الوبر، ووقفت أمام النافذة. هذه الغرفة تطل على حديقة الفناء الخاصة لغرفتها السابقة، لكن شرفة هذه الغرفة مشتركة مع غرفة لوك الخاصة.

رفعت كاري كوب الشاي المثلج الذي طلبته، ورشفت منه رشفة. وصلت إلى القصر منذ أقل من ساعة تحت حماية ظلمة الليل. افترضت أن يكون لوك قد سبقها إلى القصر، بما أنه من المتوقع أن يعودا معاً من شهر العسل، لكنها حتى الآن لم ترَ لوك.

توترت كاري وتجمدت في مكانها حين سمعت دقة حذرة على باب غرفتها الخارجي، لكن عندما خرجت بينيتا من غرفة الملابس، حيث كانت تفرغ أغراض كاري وتعيد ترتيبها، لتفتح الباب، اكتشفت أنه مجرد خادم يقف هناك.

- سموّه يرغب بالاعتذار من الأميرة لأنه في الوقت الحاضر منهمك في اجتماع هام، لكنه سينضم إليها على العشاء، وسيتناولان العشاء بعد ساعة في الحجرة الخاصة.

أعلن الخادم ذلك رسمياً لبينيتا.

زمّت كاري شفتيها مبدية ابتسامة خفيفة حين استمعت إلى إعلان الخادم. كم يبدو لوك كثير الاهتمام ليرسل لها اعتذاره، وكم هو اعتذار زائف!

ألمها العميق ورغبتها بإخباره برأيها به هما ما يدعمانها الآن. تغلبت هذه الرغبة على الإغراء برفض النزول إلى العشاء. إنها تنوي إعلام لوك مبكراً أن زواجهما انتهى وأنها لا تشعر بشيء إلا الاحتقار له.

ربما إحساسها بالكبرياء... بالازدراء... وبغضب أنثوي محض هو ما جعلها تنتقي الثياب التي سترتديها للعشاء باهتمام وانتباه للتفاصيل، كجنرال يحضر جيشه لخوض الحرب.

لشدة سرور بينيتا الواضح، تجنبت كاري ارتداء ثياب داخلية عملية من تلك التي أحضرتها معها إلى سانت انتاندر، واختارت بدلاً منها ثياباً داخلية من الحرير المخرم. هذه الثياب الداخلية وصلت إلى القصر مع جهازها.

بدت بشرتها الناعمة سمراء رائعة بسبب الوقت الطويل الذي أمضته تحت أشعة الشمس في المساحة المخصصة لحوض السباحة الخاص بها على متن اليخت.

قام أخصائي التجميل على متن اليخت بالعناية بقدميها هذا الصباح، فأظافر قدميها تومض بطلاء الأظافر المشع.

أهي رغبة بمعاقبة لوك أم رغبة بمعاقبة نفسها جعلتها تختار ثوب النوم نفسه الذي ارتدته في الليلة الأولى على متن اليخت؟

بارتداءها هذا الثوب، هل تستعيد الألم الذي شعرت به في ذاك المساء بسبب الأسرار التي انكشفت لها؟

بدت بشرتها كأظافرها مشرقة لامعة تحت وهج الضوء الخفيف المنبعث من المصابيح الجدارية المعلقة على طول الممر، أثناء مرافقة الخادم لها إلى غرفة الطعام. لم تكن غرفة الطعام تلك الغرفة الواسعة الرسمية التي تألفها، وإنما غرفة أصغر حجماً وأكثر حميمية.

اتقاد حاد من القلق أصاب أحاسيسها حين انحنى الخادم وتراجع، تاركاً كاري لوحدها.

الضوء الوحيد المنبعث في الغرفة هو ضوء الشموع التي تفوح منها رائحة الفانيلا. جدرانها مغطاة بالدمقس الأحمر الباهظ الثمن لتتناسب مع الكراسي الطويلة، وهي مزينة بمرايا موضوعة في أطر ذهبية مزخرفة.

بعد ثوانٍ من مغادرة الخادم، فتحت الأبواب المزدوجة من الناحية الثانية للغرفة ودخل لوك مسرعاً.

هذا هو لوك! أحسّت كاري أنه لوك. شعرت به في كل مسام جسمها وفي كل ألم قاسٍ وموجع في قلبها.

تأملته بصمت. هل يبدو وجهه أكثر نحولاً؟ هل تظهر عظام وجنتيه أكثر بروزاً من ذي قبل؟

راقبته كاري حين تقدّم نحوها. تصلب جسمها عندما وصل إليها، ثم أخذ بيديها وعانقها بعزم شديد. لم تجفل ولم تتحرك إلى أن ابتعد عنها. حتى إن العناق لم يعنِ لها أكثر من تحية عابرة رقيقة.

استطاعت كاري رؤية الغضب المتقد المكبوت في عينيه، حين ضاقتا بنظرات متسائلة. هل هو بحاجة حقاً ليتساءل عن ردة فعلها؟ تكبّره لا يصدق! ألا يدرك كم هو محظوظ لأن كبرياءها وضبطها لنفسها منعاها من التحول إلى امرأة مشاكسة؟ لو أنها استجابت للألم الذي تشعر به لبدأت بتمزيق هذا الجسد الرجولي الرشيق لينزف كما تنزف هي من الداخل.

سمعته يقول لها: «أنا آسف لأنني لم أكن هنا لأستقبلك عندما عدتِ. خططت لأكون هنا. لكن لسوء الحظ، كان هناك اجتماع ضروري دام لوقت طويل. فكرت أن الليلة ستكون... حميمة أكثر إذا تناولنا العشاء هنا».

توقف عن الكلام حين سمع دقة متحفظة على الباب، تعلن وصول العشاء.

أي نوع من الحديث الشخصي بدا مستحيلاً أثناء تناول العشاء، مع وجود خادمين يحومان حولهما و أصناف عدّة من الطعام تُحمل إلى الطاولة ومنها. لكنها ليست على عجلة من أمرها. باستطاعتها الانتظار.

لم تكن كاري جائعة أيضاً، وبالكاد استطاعت تناول لقمة واحدة من كل صنف.

- هل من خطب؟

سألها لوك عابساً، عندما لاحظ أن أطباقها ترفع من أمامها وهي ملأى بالطعام.

نظرت إليه كاري غير مصدقة وأجابت: «أحقاً تحتاج إلى طرح هذا السؤال علي؟».

راح الغضب يفور في داخلها كما تفور فقاعات المياه الغازية في كوبها.

- أنت...

ناضلت لكي ترمي اتهامها القاسي في وجهه حين ظهر الخادم مرّة ثانية. أخذت جرعة باردة من كوب شرابها لتهدىء نفسها، تلتها جرعة أخرى إلى أن شعرت بالانتشار المهدىء للسائل يتدفق في جسدها. أخيراً، انتهى العشاء وصرف لوك الخدم.

- أتريدين قهوة؟

سألها، مشيراً إلى إبريق القهوة الذي تُرك على الطاولة. هزّت كاري رأسها بالنفي، فهي لا تثق بنفسها إذا تكلمت. كيف تجرأ على فعل هذا بها؟ كيف تجرأ على القيام بهذا العرض الساخر من الحميمية بعد شهر العسل، في حين أنه في الحقيقة...

رأت لهيب الشموع يتمايل حين تحرك لوك، متجهاً نحو الأبواب التي دخل منها سابقاً.

أمرها بلطف: «تعالي!».

نهضت كاري ومشت إليه بتجهم.

بدأت كلامها بحدة: «لوك...».

لكنه لم يسمح لها بمتابعته، لفّ ذراعه حولها وأحنى رأسه ليتمكن من الهمس في أذنها قائلاً: «هل أخبرتك قبل الآن كم تبدين جميلة الليلة، كاري؟».

راح يلامس رقبتها بتوق شديد، فشعرت كاري بجسدها يرتجف.

دفع لوك الأبواب خلفه بيده الثانية، وعندما انفتحت استطاعت كاري رؤية غرفة النوم التي تقع خلفها.

- لن تصدقي كم مرة حلمت بالقيام بهذا خلال الأيام العشرة الماضية.

همهم لوك بذلك فيما طوقتها ذراعاه وراح يعانقها بشغف.

انفجر الغضب الشديد داخل كاري، فوقفت مكانها ولم تستجب لمعانقة

لوك لها. بسرعة أدرك لوك عدم تجاوبها فخفّت قبضته عنها وتركها.

سألها عابساً: «ما الأمر؟».

حدّقت كاري مردّدة: «ما الأمر؟ هل أنتَ بحاجة حقاً لطرح هذا السؤال علي، لوك؟ هل تعتقد حقاً أنني لم أعرف الحقيقة؟».

راقبته حين أغمض عينيه وفتحهما ثانية قائلاً: «كاري، لم أستطيع إخبارك. أعرف أن جاي شرح لك كل شيء، عليك أن تفهمي...».

- ماذا عليّ أن أفهم؟

تفحصته كاري باحتقار بارد متابعة: «لا، لوك! أنت عليك أن تفهم أنني لن أسمح لك بأن تستغلني كما فعلت».

- كاري، لم يكن لدي خيار آخر.

بدت نبرة لوك جدية الآن وهو يتابع: «واجبي تجاه إمارتي...».

- ... يأتي في المقدمة. أجل أعرف هذا... شكراً لك لوك على هذه المعلومة. وطالما أنا المعنية، فواجبي الأول والأهم هو حماية نفسي.

- كاري، أقسم إنك لم تكوني في أي خطر. لن أعرضك أبداً لأي خطر.

ضعف صوته، وفجأة بدأ يهمهم قائلاً: «آه! كاري... لماذا نتشاجر الآن في حين أن كل ما أردته هو أن آخذك بين ذراعي... كل ما أردت القيام به هو...».

أنهى لوك كلامه على نحو غليظ مباغتاً إياها، حملها بين يديه رافساً الباب وراءه بقدمه ليغلق، وتوجه بها إلى السرير الضخم.

راحت أصابعه تشد دون صبر على العقدة التي تثبت فيها قميصها تماماً مثلما تخيلته يفعل عندما ارتدتها في أول ليلة من شهر العسل.

الغضب في داخلها حجّرها، لكن جسدها خانها حين استجاب له، كما لو أنه مستقل كلياً عن عقلها وعواطفها. في حين راح رأسها يصرخ بغضب صامت.

فاجأها بقوله: «أخذت حمام شمس!».

بدا كلامه تصريحاً وليس سؤالاً، وجاء صوته جافاً ومنذراً بالشر حين تابع: «مع جاي؟».

حدقت كاري إليه. أيبدو حقاً وكأنه يغار؟

- كنت في تطواف، لوك.

ذكرته بحدة: «أطوف في رحلة شهر العسل... التي يفترض أن تكون مع زوجي».

أجابها بطريقة جافة: «أنا زوجك!».

ردّت كاري بفتور قائلة: «لا! أنت الرجل الذي تزوجني، لوك. أنت لست زوجي، ولن تكون كذلك».

استطاعت رؤية الغضب وعدم التصديق يظللان عينيه.

- عمّ تتحدثين بحق السماء؟

- أتحدث عن استغلالك لي بتعمد ووحشية، لوك. هل اعتقدت أنني لا أملك الذكاء الكافي لأدرك الأمور بصورة صحيحة؟ تذكّر أنني عالمة اقتصادية، وأن الحقائق والأرقام هي عملي. هل فشلت خططك عندما اكتشفت أنك لا تستطيع ابتزازي لأتزوج بك بواسطة تهديدك لشقيقي؟

كانت كاري مستلقية على السرير فيما يجلس لوك إلى جانبها. تمكنت من الشعور بالهواء البارد بينهما حين رفع رأسه ليحدق إلى وجهها.

- لا تحاول إنكار ذلك، لوك.

حذرته كاري متابعة: «أخبرني هاري أن ماريا احتاجت إلى إذنك لتسحب المال من رصيدها لشراء المزرعة. من الواضح أنك عرفت آنذاك أنه لن يطول الوقت قبل أن أكتشف أن هاري لا يحتاج إلى وظيفته في المدينة. لكن وقتها وقف القدر إلى جانبك، أليس كذلك؟ سلّمتك عرابتك ما أنت بحاجة إليه. ألم تفعل؟».

«لا بد أنك شعرت بالارتياح حينها، لوك. كل ما عليك فعله للتأكد من أنني سأستمر في تحضيرات الزواج الذي أصبح جزءً مهماً من خططك هو تقديم جزء قليل من التفهم والشفقة الزائفة، لم أعرف أنني عندما بكيت بين ذراعيك على الماضي، قدمت لك الفرصة لاستغلال ذاك الضعف لمصلحتك.

هذا ما فعلت، أليس كذلك؟ رغم كل شيء، لديك واجبات تجاه إمارتك، وهذا أهم بكثير من أي شيء وأي شخص آخر. في الواقع...».

قاطعها لوك بطريقة فظة: «هذا جنون! ليس لدي فكرة لماذا تغذين مخيلتك بمثل هذه الأفكار غير القابلة للتصديق، كاري. هل تدركين كم... كم تبدو اتهاماتك هجومية ومهينة؟ وكم هي مؤلمة؟».

- مؤلمة؟

منحته كاري نظرة ازدراء ثم أكملت: «حسناً! يقولون إن الحقيقة تجرح، أليس كذلك، لوك؟ هل حصلت على ما تريده؟ هل نجحت مفاوضاتك؟».

ظهر العبوس على وجهه حين قال لها بطريقة جافة: «في الواقع، أجل نجحت».

- جيد! إذاً هذا كل ما يهم. أليس كذلك؟ على الأقل بالنسبة لك.

- كاري! هلاّ توقفت عن هذا؟

أمرها لوك بصوت أجش، مضيفاً: «أتفهم أنك شعرت بالقلق لأنني لم أشرح لك ما أفعل، لكني فعلت هذا من أجلك، لأن...».

- كلا، لم يكن ذلك من أجلي لوك. لم تفعل شيئاً من أجلي. أنت استغليتني بسخرية و... دون رحمة. أي نوع من الرجال أنت، لوك؟ حتى إنك أوهمتني أنك تحبني... عاملتني كما لو أنني أكثر امرأة ترغب فيها لتتأكد أنني لن أغادر. يا لها من تضحية نبيلة، لوك! أنا متأكدة أن شعبك سيتأثر لمجرد معرفة ما أجبرت على القيام به باسم الواجب. بالمناسبة، كيف تمكنت من ادعاء ذلك؟ هل أوهمت نفسك أنني خليلتك؟ أم...

أصدرت كاري شهقة من الصدمة حين أمسك لوك بكتفيها قائلاً بنبرة قاسية: «هذا يكفي! لمعلوماتك، لم يكن هناك أي ادعاء من قبلي، كما تسميه. أنا رجل، كاري وأنتِ...».

تمكنت كاري من رؤية الغضب يلمع في عينيه، فانتفضت بهزة مفاجئة من الانفعال قائلة: «آه، أجل، أعرف ذلك».

- أتعرفين؟ حسناً! عندئذٍ، هذا لن يفاجئك كاري؟ رغم كل شيء، وكما ذكرتني سابقاً، نحن متزوجان. لكن حتى الآن أنا لست زوجك، بكل ما للكلمة من معنى، وهذا واجب مهمل سأعالجه الآن...

- لا!

رفضت كاري فجأة، مدركة الخطر الذي يداهمها. لكن فات الأوان...

همهمة لوك «بلى» احترقت بالقرب من وجهها، وأخذت بضغط ذراعيه حولها.

شيء ما، قوي وجوهري عميق في داخلها انتقل فجأة إلى الحياة عند لمسة لوك، التقى وتناسب مع شغفه. لمسات يديه، التوق الموجود بداخله، استقبلتها كاري بتوق مماثل. الآن، بدا لوك رجلاً لا يستطيع السيطرة على أحاسيسه، وليس أميراً متحفظاً في تصرفاته.

أدركت كاري غريزياً أن كل لمسة من لمساته ستنطبع في أحاسيسها إلى الأبد. لن تشعر أبداً بعد الآن بمثل هذا الشعور ولن تتمكن من الحب مرة ثانية.

شعرت أنه يأخذها إلى أعماق عالم ليس فيه سواهما: هي وهو.

بعد أن هدأت مشاعرهما، أحنى لوك رأسه نحوها ليعانقها. غطّت عينيها غشاوة من الدموع لم تستطع إيقافها عندما لمحت في عينيه ما يشبه الحنان. لا بد أنه حنان مزيف! ذكرت كاري نفسها بحدّة.

أدركت أنه ينظر إليها، وعندما أدارت رأسها نحوه، أجفلت من قوة نظرته التساؤلية. انفجرت قائلة: «استخدامي كبديل لخليلتك لن يغير أي شيء لوك. أول ما سأقوم به غداً صباحاً هو مغادرة سانت انتاندر، وهذه المرة لن أعود أبداً».

دون أي كلمة إضافية دفعت بنفسها بعيداً عنه.

- كاري!

سمعت كاري النبرة المنذرة بالسوء في صوته، لكنها تجاهلتها.

غمرها مقدار ضخم من اللامبالاة، حتى إن حركتها بدت ثابتة وآلية تقريباً كما لو أن أحدهم يحركها عن بعد.

- أولاً: ليس لديّ، ولم يكن يوماً لدي خليلة. ثانياً: إذا كنت تعنين بكلامك جينا، فاعلمي أننا، أنا وهي، لسنا حبيبين.

أدركت كاري باستغراب أن كشفه هذا صدمها، لكنها رفضت الاستجابة إلى تعليق لوك. ما هو هدفه؟ لا شيء سيغير الطريقة التي استغلها

فيها، ولا شيء سيغير حقيقة أنه سيفعل ذلك مرّة ثانية إذا شعر بالحاجة إلى ذلك، لكي يقوم بواجبه ويحمي سانت انتاندر. قد يجد البعض هذا الوجه من شخصيته جديراً بالتمجيد. لو أنها إحدى رعاياه ربما ستفعل ذلك، لكنها ليست إحدى رعاياه. هي المرأة التي تحبه... التي تريده، وترغب في أن تعرف أن هذا الحب متبادل بينهما. تريد أن تتأكد أن علاقتهما مميزة، ومقدسة إلى أبعد حد.

إنها بحاجة لأن تعرف أنها تحتل المركز الأول في قلبه كما يحتل هو المركز الأول في قلبها... أو بالأحرى كان، صححت لنفسها بسرعة.

١٣ - لن أسمح لك!

إنه يوم جديد! الشمس مشرقة، والسماء صافية، أما القصر وما يحيط به فيبدو ككتاب مصور بامتياز. لكن لا شيء من ذلك سيتمكن من التأثير فيها هذا الصباح. سلمت كاري بذلك عندما خرجت من القصر إلى الساحة للمرة الأخيرة كما نوت.

حزمت أمتعتها مستثنية الثياب التي اشتراها لها لوك. هي لا تريد اصطحاب أي شيء معها يذكرها بهذه الأسابيع القليلة الأخيرة غير الحماية اللازمة من الألم الذي سببه لوك لها، علّ ذلك يخفف عنها الوحدة المؤلمة التي تنتظرها.

بتذكير نفسها بهذا الألم، ستكون قادرة على تجاهل أي توق ضعيف ومتهور نحو لوك، والتغلب عليه.

بدت الساحة مليئة بالزوار الذين أتوا من كل حدب وصوب ليستمتعوا برؤية القصر والتعرف على تاريخه. كانت الطاولات الخارجية للمقاهي الصغيرة المواجهة للقصر ملأى بالزبائن. لفتت انتباه كاري مجموعة من الشبان يجلسون إلى إحدى الطاولات، بدوا صامتين مترقبين.

ما إن وصلت إلى منتصف الساحة تقريباً حتى سمعت لوك يناديها. تصلب جسدها، وللحظة حاولت تجاهله. لكن بطريقة ما، اكتشفت أنها تستدير لتواجهه. راقبته عندما وقف ينظر إليها من مكانه المفضل على الدرج المؤدي إلى المدخل الرئيسي للقصر.

حين بدأ يمشي نزولاً على الدرج، سرت رعشة صغيرة في داخلها.

تذكرت ما حصل الليلة الماضية، وقوة الشغف الذي تشاركاه. لو أن الظروف مختلفة، شغف كهذا سيكون أكثر من تعويض لأي شيء. لا شك

أن البعض يعتبرها حمقاء لتقاوم ذلك.

ناداها لوك مرة أخرى: «كاري!».

نظرت بذعر حين سمعت النبرة المحذرة في صوته وشعرت بالذهول عندما رأته يركض نحوها... من مسافة قريبة أمكنها سماع ضجيج، صياح، احتجاج، صراخ من الخوف والصدمة... انقطع نفسها حين وصل لوك إليها، وأوقعها أرضاً مغطياً جسدها بجسده وحاجباً إشراق الشمس عنها.

علا الكثير من الأصوات حولها... أصوات ذعر. سمعت كاري صراخاً، بكاءً، صوت صفارة الإنذار ووقع أقدام مسرعة. رأت أرجلاً تركض نحوهما... أرجلاً ترتدي بزات رسمية وتنتعل أحذية عالية الكعوب لمّاعة. رفع أحدهم لوك عنها، وعند ذلك تمكنت من رؤية الدماء تتساقط على الحجارة القشدية اللون.

سمعت أحدهم يصرخ مرات ومرات: «لا! لا! لا! يا إلهي، أرجوك لا...!».

أدركت أن الصوت المعذب الذي تسمع هو صوتها. امتدت الأيدي لتساعدها على الوقوف، ورأت الوجوه تنظر إليها بتعابير قلقة مصدومة ومهتمة.

- لوك... لوك... لوك...!

ظلت تردد اسمه بتنهد عندما وضعوها في سيارة الإسعاف. وقبل أن تنطلق، رأت الحرّاس يتقدمون مبعدين مجموعة الشبان التي رأتها سابقاً.

على الأرض حيث استلقيا منذ لحظات رأت مسدساً، غطاه أحد الحراس بقطعة قماش قبل أن يأخذه.

* * *

وقفت كاري وأخذت نفساً عميقاً، ثم نظرت إلى السماء الصافية. مضت ستة أسابيع تقريباً منذ الحادث المروّع خارج القصر. ذلك الحادث الذي أطلق فيه النار على لوك، حيث تلقى الرصاصة التي كانت موجهة إليها.

- هل أنت جاهزة؟

نظرت إلى الأعلى حين شعرت بلمسة جاي اللطيفة على ذراعها. حاولت

بقوة إبعاد الدموع من عينيها، فإبعادها على الأقل هو شيء يمكنها القيام به، على العكس من تلك الظلال القاتمة التي تحيط بروحها والجزء الأعمق من داخلها.

كانت السيارة السوداء ذات النوافذ المظللة بقوة قد توقفت إلى جانب المدخل الخاص للقصر.

بعد الحادث كان عليها تأجيل خطتها بمغادرة سانت انتاندر. لسبب واحد وهو أنه قيل لها إنها ما تزال تحت تأثير صدمة كبيرة، بالإضافة إلى أن مركزها كزوجة للأمير جعل ذلك مستحيلاً. مع ذلك، قريباً سينتهي الواجب الذي كان عليها القيام به، وعندها تكون لها الحرية بالمغادرة. لقد تصرفت بروح عالية من المسؤولية أثناء المحنة التي مرت بها، وصلّت لأن تكون هذه المحنة الأخيرة.

ترجل السائق الذي يرتدي بزة رسمية، وقد بدا متجهم الوجه.

جفّ فم كاري، وبدأ قلبها يضخ بالأدرينالين إلى عروقها بكمية كافية لتغذية صاروخ متجه إلى القمر. لم تستطع إجبار نفسها على النظر إلى السيارة السوداء المتوقفة. حمداً لله! تقدم جاي ومشى نحو السيارة.

فتح السائق الباب، وتمنت كاري لو أنها تستطيع إبعاد نظراتها لكنها لم تتحمل ذلك. التقطت أنفاسها، وراقبت صاحب القامة الطويلة المألوفة يتحرك في مقعد الركاب ويترجل من السيارة، رافعاً رأسه لينظر نحو الشمس، ويأخذ نفساً عميقاً قبل أن يمشي بهدوء نحوها.

أحسّت كاري كما لو أن ضربات قلبها السريعة ستعلق في حنجرتها. برغم معرفتها أن الساحة ليست مفتوحة للجمهور في هذا اليوم، إلا أن عقلها استمر باستعادة ما حصل هناك. أرادت أن تركض إلى لوك وتجرّه إلى الأمان في الداخل. أرادت أن تتوسل إليه بالإسراع. طيلة الوقت، راح نظرها يبحث ويجول على المسافة الفارغة المحمية التي تحيط بالسيارة ومدخل القصر، الذي عرفت أنه محروس بكثافة، تحسباً لأي خطر.

الأسابيع الستة الماضية تطلبت منها دفع جزية رهيبة... الذنب، الألم، الخوف. تلك كانت المشاعر التي عاشتها.

عندما تبعت لوك إلى المستشفى بعد إطلاق النار، أخبروها أنه محظوظ جداً، وأنه يعاني فقط من جرح في كتفه بسبب إطلاق النار، لكن المضاعفات حصلت لاحقاً، إذ تلوّث الجرح، ودخل لوك في غيبوبة حين انتشر السم في جسده. ظل خطر الموت يلوح فوقه لمدة أسبوع تقريباً.

جالسته كاري ليل نهار خلال هذه الساعات الطويلة من نضاله للحياة، سائلة الله أن يتعافى. ذكرته مرّات عدة كم تحتاج إليه إمارته وشعبه.

لم تعرف، أو ربما عرفت، إذا كانت كلماتها قد وصلت إليه، كما أنها لن تعرف إذا كان قد سمع اعترافها الأخير المستنزف بأنها تحبه.

في البداية رفضت تصديق الأمر حين أخبروها أنه بدأ يتعافى، لكنه ما لبث أن استعاد وعيه. بعدئذٍ رفضت كاري الذهاب إلى المستشفى، خشية أن يكشف وجودها الكثير من عواطفها المضطربة.

قالت لجاي بعناد: «لديه كل شيء وكل شخص يحتاجه، انتهى زواجنا، وسأغادر حالما أستطيع ذلك».

لكنها لم تستطع السماح لنفسها بالمغادرة قبل التأكد من أن لوك تعافى بشكل كاف ليخرج من المستشفى.

- هل قمت بجميع الترتيبات التي طلبتها منك؟

سمعت لوك يسأل جاي حين وصلا إليها.

أكد جاي: «كل شيء مرتّب ومنظم. مع ذلك، لا يمكنك أن تلقي خطابك من الساحة، لوك. حتى الشرفة المفتوحة غير مناسبة. بدلاً من ذلك، جهزنا لك جهازاً لتكبير الصوت وتمّ تركيب زجاج مضاد للرصاص حول الشرفة. إنه بالفعل بدعة فنية، وهو جيد حتى للرئيس الأميركي. أظن أنك ستكون محمياً تماماً بواسطته. بالكاد تستطيع الشعور به، ومع ذلك لا يمكن للرصاصة أن تنفذ من خلاله...».

- وكم من آلاف الدولارات كلف ذلك؟

- زيليون!

أجاب جاي بمرح مضيفاً: «لكن هذا على نفقتي الخاصة، إنه هدية بمناسبة عودتك سالماً إلى القصر».

بات لوك يبعد عنها مسافة قصيرة الآن. راحت نظرته الباردة الخطيرة تتفحص وجهها. لا شك أنه يبحث عن أي نقطة ضعف. هكذا قررت كاري.

حضرت كلامها بعناية، لكن ما زال يلزمها الجهد لتتنحنح وتنظف حنجرتها وتبدأ بالكلام دون انفعال.

- أشكرك على ما فعلته لوك، لوك... على إنقاذك حياتي...

شعرت بالتوتر حين رأت ومضة الغضب تظلل عينيه، قبل أن يقول: «أنتِ زوجتي».

تدخل جاي قائلاً: «لندخل... رجال الأمن قلقون عليك، لوك».

لحظة وصلوا إلى الأجنحة الخاصة في القصر، تراجعت كاري رافضة أن تتبع لوك إلى قاعة الاستقبال، وسرعان ما رأته يعبس ويستدير لينظر إليها متسائلاً.

أمر مذهل! على الرغم مما عانى منه، ما زال يبدو قوياً وقاسياً كما هو دائماً. في الحقيقة، هي التي تبدو منهكة، فوجهها شاحب وجسمها هزيل. لكن بالطبع، هي...

على نحو مفاجىء، أجبرت نفسها على التركيز على ما عليها القيام به، فأعلنت بطريقة جازمة: «هناك مسائل تحتاج أنت وجاي إلى مناقشتها. أخبرني جاي عن الخطاب العلني الذي ستلقيه».

حين أخبرها جاي عن الخطاب العلني الذي سيلقيه لوك، احتجت عليه بقوة: «ماذا لو حاول شخص آخر قتله؟».

ثم أكملت تقول بانفعال: «ماذا يظن نفسه فاعلاً، ليقوم بهذه المخاطرة؟».

ذكرها جاي: «الرصاصة لم تكن موجهة إليه كاري، ولم يكن الهدف منها القتل. نعرف أن صاحب المسدس أراد تسجيل نقطة ما. ببساطة، أراد إخافتك ولفت النظر إلى قضيته. لم يدخل في حساباته أن لوك سيراه ويتصرف بهذه الطريقة».

اعترضت كاري: «ربما لم يقصد القتل، لكن هذا لا يعني أن شخصاً ما أخطر منه قد لا يحاول ذلك».

جاء رد جاي جازماً: «لوك يصرّ على ذلك. هو يقول...».

- إنه واجبه! أجل، أعرف ذلك.

زودته كاري بالإجابة بطريقة قاسية.

- كاري...!

بدأ لوك الآن بالكلام، لكن كاري هزت رأسها بسرعة، وقد بدت شفتاها كخط عنيد، قبل أن تستدير على عقبيها وتغادر.

في غرفتها، كل شيء بدا جاهزاً لمغادرتها. هذه المرة لا شيء سيوقفها. غداً سيلقي لوك خطابه أمام شعبه، لا شك أنه سيؤكد لهم أن لا حاجة بهم إلى القلق؛ إنه معافى وبصحة جيدة، ولا أحد سيوقفه عن القيام بمسؤولياته تجاههم. أما بالنسبة لذلك الشاب الطائش الذي أطلق الرصاصة، فكاري تعرف مسبقاً أن لوك سيظهر تعاطفاً وكرماً كبيرين بمسامحته على فعلته هذه.

كان جاي قد أخبرها من قبل: «يقول لوك إن كل الودائع المشكوك بأمرها قد نُقلت من الإمارة، وما من سبب بعد الآن يجعل هؤلاء المتمردين الأذكياء يمضون في احتجاجهم. الإنتربول زوده سابقاً بأسماء الذين يُعتقد أنهم يحاولون التسلل إلى داخل المجموعة للقيام بتحريض خفي. سيتم تخيير هؤلاء بين مغادرة الإمارة أو مواجهة نتائج أعمالهم التي ستتضمن طبعاً التحريض على قتل الأمير. ما زالت عقوبة هذه الجريمة في سانت انتاندر السجن مدى الحياة».

وقفت كاري في غرفتها محدقة من النافذة. فجأة فُتح الباب ودخل لوك. للحظات، بدت مصدومة ولم تستطع أن تنطق بكلمة. مضت أقل من نصف ساعة منذ تركته. افترضت أنه سينشغل لساعات عدّة بمسائل تتعلق بالإمارة.

بدأ يقول دون تمهل أو تردد: «ما زلت تنوين المغادرة، إذاً!».

أومأت كاري برأسها، وقالت بصلابة: «لا شيء تغير، لوك. كل ما قلته لك ما زال قائماً. وأي علاقة بيننا ستكون مجرد علاقة سطحية».

ثم تابعت تقول بطريقة جافة: «ليس لديك أي مشاعر شخصية تجاهي، ولا أنا أملك مشاعر خاصة تجاهك».

- أحقاً؟ لكن جاي أخبرني أنك عندما اكتشفت أنه أخذ مكاني، شعرت بالقلق خشية أن يكون قد تسبب لي بالأذى بطريقة ما.

نظرت كاري بعيداً، لكن لوك تابع يقول بإصرار: «أخبرني أن حبك لي يبدو واضحاً».

- هذا أصبح من الماضي.

وافقت كاري بطريقة جافة، مشدّدة على كلمة الماضي. لكن الشعور بالألم الحي كاد يسدّ حنجرتها وبدأ القلق يتملك منها. قالت لنفسها: الابتعاد عن لوك الآن... الآن.

سألها معاتباً بنبرة غاضبة: «بالنسبة إلى تعليقك بأنه ليس لدي مشاعر خاصة تجاهك، كيف تجرؤين على قول هذا، كاري؟ ألم أظهر لك مرات عدة كم هو قوي حبي لك؟ أصعب ما مر بي حين كنت شاباً هو السماح لك بالذهاب».

- السماح لي بالذهاب؟!

انفجرت كاري متابعة: «أنت لم «تسمح لي بالذهاب» لوك. أنت طردتني من حياتك بأكثر الطرق وحشية... أعطيت تعليمات لعرابتك للقيام بعملك السيء. ألا تدرك كم استمتعت بإذلالي؟».

- ماذا؟ لم أفعل هذا! أنتِ من اخترت المغادرة عندما فاتحتك عرابتي بالموضوع لتحذرك من المسؤولية التي عليك تحملها إذا استمرت علاقتنا وتطورت. أنت من اخترت الابتعاد عن هذه المسألة وعني. طبعاً، لا أستطيع لومك. كنت شابة، وحياتك كلها أمامك. ولو أنني تزوجتك آنذاك، وأنت في الثامنة عشرة، كنت ستجبرين على تغيير حياتك كلها. عرفت أنه لا يحق لي أن أطلب منك القيام بأي نوع من التضحية».

لم تستطع كاري الكلام. شعرت بالدوار بسبب الصدمة من اعتراف لوك غير المقصود.

- أنت... أنت ابتزيتني لأتزوجك.

تدبرت كاري الإشارة إلى ذلك مضيفة: «ولم تفعل ذلك لأنك تحبني لوك. قمت بذلك لأسباب سياسية. أنت قلت ذلك بنفسك. حتى

إنك...».

قال لوك بحدة: «أنا رجل، وككل الرجال عندي كبرياء. لم أكن لأعترف بذلك... لكن منذ اللحظة الأولى التي نظرت فيها من النافذة ورأيتك تقفين في الساحة، عرفت...».

توقف قليلاً عن الكلام، ثم تابع قائلاً: «أنتِ اتهمتني باستغلال ضعفك بأحقر وأقسى الطرق لأنال مرادي. هل لديك فكرة كم جرحني ذاك الاتهام؟ هل تعرفين لماذا سمحت لماريا بسحب المال من اعتمادها المالي في حين لم يكن علي ذلك؟».

حدّقت إليه كاري بصمت، فيما عاد يقول بنبرة تحمل ألماً: «فعلت ذلك من أجلك... لأن هاري شقيقك، وأردت القيام بشيء ما يرضيك. لو عاد الخيار لي لرفضت. إذا لم تصدقي اسألي ماريا بنفسك وأنت بالطبع لن تصدقيني».

المرارة في صوته أثارت شعوراً بالذنب في داخلها. هي متأكدة من أن لوك يقول الحقيقة، ومتأكدة أيضاً أنها أساءت الحكم عليه، لكنه ما زال هو، لا، ليس هو. صححت لنفسها بحزن، ما زال ما هو عليه.

أخبرها بهدوء: «أثناء الأسابيع التي أمضيتها في المستشفى، قمت بالتفكير ملياً، كاري. ووصلت إلى قرار. غداً، عندما أتحدث إلى الشعب سوف أعلن تنازلي عن العرش».

حدّقت كاري إليه مصدومة، غير مصدقة ما تسمعه.

- أنا قدمت أفضل ما عندي لإتمام واجباتي تجاه سانت انتاندر، كاري. والآن أريد أن أعيش حياتي. أريد ما يعتبره رجال آخرون حقاً لهم. أريد المرأة التي أحب بين ذراعي، في سريري... في حياتي. أريد الأولاد، الخصوصية والأمان، للاستمتاع بحياتي معها ومعهم.

اعترضت كاري بوحشية: «ماذا تحاول أن تقول لوك؟ لن تفعل ذلك، لن أسمح لك».

أجاب بهدوء: «لن تستطيعي إيقافي».

ثم تابع مضيفاً: «حيثما تذهبين كاري، أنا ذاهب أيضاً. سأتبعك إلى أي

مكان حتى تدخليني إلى حياتك، حتى تعيديني إلى قلبك، حتى تسمحين لي بأن أبرهن عن مدى حبي لك».

أخذت كاري نفساً عميقاً؛ إنه لا يقصد ذلك! هو فقط يستعمل الابتزاز العاطفي... ليخدعها!

قالت بلامبالاة: «حسناً! إذا كان هذا حقاً ما تريد، لوك».

مشت نحو النافذة، ونظرت إلى الخارج لبضع ثوانٍ قبل أن تستدير وتقول له: «سبق أن حجزت لي مقعداً على رحلة متوجهة إلى دياري غداً. أسافر في الدرجة الثانية، طبعاً... وليس في طائرتي الخاصة».

قال لوك بشكل صارم: «أنا أعني ما أقوله كاري. غداً صباحاً سأعلم شعبي ما أنوي فعله. سبق وأخبرت جاي، وأنوي إخبار مجلس الشورى الليلة».

الآن شعرت بصدمة حقيقية، لكنها رفضت أن تسمح له بملاحظة ذلك.

* * *

- لن تسمحي للوك بالقيام بذلك، كاري!

- لمَ لا؟

سألت كاري حين واجهت نظرة جاي الاتهامية من جانب إلى آخر في غرفة الجلوس الخاصة بها.

دخل جاي قبل دقائق إلى غرفتها دون إعلان مسبق، وقد بدا وجهه قلقاً ومتوتراً.

- أنتِ تعرفين السبب.

رد عليها بتجهم متابعاً: «سانت انتاندر بحاجة إلى لوك. وإذا جعلته يغادر هذه الإمارة. لن تكون وحدها التي تدمر، ولكن سيدمر جزء منه أيضاً، وأنتِ تعرفين ذلك. فكري بالأمر! هل تفضلين العيش مع نصف رجل طوال الوقت، أم الحصول على الرجل كله مع نصف وقته؟».

- هذا ابتزاز غير أخلاقي، جاي.

أشارت كاري بحدّة مضيفة: «ولمعلوماتك، أنا لا أريد لوك أبداً».

- كاذبة!

تحداها جاي متابعاً: تحينه بقدر ما يحبك هو. ما خطبك؟».

لم تعطه كاري أي جواب. ولماذا عليها الإجابة؟ سألت نفسها بعناد.

لكن لاحقاً، عندما أصبحت بمفردها، لم تستطع التوقف عن التفكير بما قاله جاي ولوك نفسه لها.

لوك فعلاً يحبها، يحبها إلى درجة تجعله مستعداً للتخلي عن إمارته من أجلها.

* * *

- حجزت لنفسي مقعداً على متن رحلة إلى مطار هيثرو بعد غد. عندما أصل إلى هناك...

وضعت كاري سكينها ونظرت إلى لوك عبر مائدة العشاء الرسمية.

قالت له بنبرة سطحية: «يمكنك الغاؤه أيضاً، لوك».

استطاعت رؤية الاندفاع المؤلم في عينيه قبل أن يخفيه.

- كاري، كل ما أريده هو الفرصة لأبرهن نفسي لك... نفسي وحبي.

لم تستطع محاربة الاحساس بالانفعال الذي شعرته قبلاً عندما أصغت إليه وبعد ذلك إلى جاي، والذي عاودها الآن. اعترفت أن هناك أشياء يجب أن تظهر... أشياء لا يمكن تجنبها أو نكرانها. أشياء، لا يهم كم هي مؤلمة، لكنها ببساطة يجب أن تحدث. وبالنسبة لها... لوك هو... أحد هذه الأشياء. ليس فقط أحدها، بل أهم شيء فيها، اعترفت كاري بذلك حين ذاب العازل الجليدي الذي يغطي قلبها، وشعرت باندفاع مفاجيء من الدفء والحب الذي عاد إليه.

لوك يحبها! إنها تعرف ذلك الآن، تماماً كما هي متأكدة من حبها له.

رفعت ذقنها وقالت بحزم: «أنا لا أريدك أن تتخلى عن العرش لوك».

استطاعت رؤيته وهو يناضل لإخفاء الألم.

أضافت بلطف: «ما من داعٍ لذلك».

اعترض لوك بقسوة: «بل هناك داعٍ لذلك».

بعد برهة أضاف: «أريد أن أكونَ معك، كاري. وأكثر من ذلك، أنا بحاجة لأكون معك».

نظرت إليه كاري بألم. سبق أن شعرت بالضغط، بثقل الاختيار الذي قدّم إليها. كم مرة شعر لوك بهذا الضغط... هذا العبء؟

وكم مرة أجبر نفسه على وضع حاجاته الخاصة جانباً والتحول للقيام بمسؤولياته التي ورثها؟

ما هو مقدار... الامتحان للحب الحقيقي، بأي حال؟ الطلب والتضحية؟ أم تقديم أحدهما هدية للآخر؟

للحظة فقط، سمحت لنفسها باسترجاع أحلامها السرية الثمينة. وبعدئذٍ وضعتها جانباً باهتمام بالغ، وبدأت تقول بنعومة: «كفتاة، حلمت دائماً بأن أكون أميرة، لوك. والآن لن أرفض الفرصة بأن أكون واحدة لمجرد أنك ترغب بأن تكون نبيلاً وتقدم التضحية الكبرى».

المفاجأة، اليأس ومجرد البداية للشعور بالأمل... بدت كلها واضحة في عيني لوك حين حدّق إليها بصمت.

تابعت كاري قائلة: «بالإضافة إلى ذلك، ماذا سيقول ابننا إذا حرمته من فرصته في لعب دور جندي وارتداء زي رسمي، ناهيك عن عدد الفتيات اللواتي سيُسحرن بمركزه؟».

- ابننا؟!

سمعت كاري ارتطام الكرسي وهي تقع على الأرض حين وقف لوك ودفعها بعيداً عن طريقه بسبب سرعته ليصل إليها.

كرر قائلاً: «ابننا؟!».

- حسناً! ربما ليس... ابننا، ربما ابتنا.

لكن كلماتها المفككة أخمدت بصدره حين عانقها بشدة أخبرتها أنه سيمر وقت طويل، طويل قبل أن يسمح لها بالتنفس بصورة طبيعية.

حسناً! ما عاد للكلام أهمية.

الخاتمة

- آه! يا إلهي، كاري! إنه جميل جداً... ويشبه لوك.

ضحكت كاري حين تحدثت ماريا بحماس عن ابن كاري ذي الستة أسابيع، بعد حفلة تعميده التي تمت بخصوصية تامة.

احتفل بولادة طفلهما في سانت انتاندر بسرور عام، بعد أن أصبحت كاري شخصية عامة محبوبة جداً. منذ زواجها شغلت نفسها بعدد من المشاريع الشخصية والخيرية، وشجعها لوك على القيام بذلك.

ابتسمت ماريا ابتسامة عريضة قائلة: «عندما تزوجنا أنا وهاري، لم أفكر أبداً أنك ستصبحين أماً قبلي، لاسيّما أماً لابن لوك».

سيولد طفل ماريا في نهاية الشهر، ها هو هاري يحوم بجانبها ليحميها. فهو يريد أن يعيدها آمنة إلى إنكلترا، وإلى المزرعة التي اشتراها، خشية أن تعجّل الحماسة في الولادة.

ألقت كاري نظرة خاطفة إلى قاعة الاستقبال العامة، باحثة عن لوك. كما لو أنهما مرتبطان ببعضهما بشكل خفي، رفع لوك رأسه لينظر إليها في تلك اللحظة تماماً، ما جعل الدبلوماسي الأوروبي الذي يتكلم معه يتبع اتجاه نظره.

- عن إذنك.

اعتذر لوك من الرجل قائلاً: «يجب أن أذهب لأريح زوجتي من حمل طفلنا قليلاً».

أشياء كثيرة تغيرت منذ كان شاباً. اعترف الدبلوماسي بذلك وهو يراقب لوك، الذي أخذ الطفل من ذراعي أمه ووضعه على كتفه.

- لوك! أنت تصدم اللواء القديم كله.

ضحكت كاري ثم هزت رأسها متابعة: «إنهم لا يتوقعون من سموك أن تفعل ذلك».

أجاب لوك: «حسناً! عليهم تغيير توقعاتهم إذاً».

منح كاري نظرة مليئة بالدفء والحنان مضيفاً: «لأن إظهار مدى أهمية زوجة وعائلة «سموه» للعالم هو أهم شيء بالنسبة إليه. هذا يذكرني... كم مضى من الوقت تماماً على المرة الأخيرة التي قلت فيها أحبك؟».

تظاهرت كاري بأنها تفكر قبل أن تقول: «آه... ! حوالى الساعة».

همس لها لوك بنعومة: «طوال هذا الوقت؟ حسناً! الليلة أعدك أنني سأظهر لك تماماً كم أحبكِ... وبكل طريقة ممكنة».

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة